روايات عبير



فلورا كيد

أنقذني الغرق

١٧٧

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 177

أنقذني الغرق

النجاح وحده على الصعيد العملي، ليس كل شيء لا للمرأة ولا للرجل. مع ذلك كثيرون يدفنون رؤوسهم في دوامة العمل كوسيلة للهرب والفرار من مسؤولية العواطف والارتباطات... وليزا التي جاءت الى مسقط رأسها بناء على طلب خالتها وفي محاولة لانقاذ منزلها العائلي وجدت انها تواجه رجلا يشبهها في الانصراف العنيف الى العمل ولكنه... فرايزر لامون... ارمل وله صبي مسكين يعيش بلا أم ويحتاج حنان الحياة العائلية.

ويحدث اللقاء بين ليزا وفرايزر في ظروف عدائية للغاية فهو الرجل الذي يهدد أملاك خالتها وهو الذي أهمل ابنه وتركه يتشاجر مع أترابه، الا ان الوقت جعلهما يتواجهان أكثر فأكثر... حتى حدث ما لم يكن في الحسبان في ليلة عاصفة هوجاء!

لبنان	١٢ ل.ل.	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	٨٠٠م
سورية	١٢ ل.س.	الامارات	١٢ د	تونس	١٫٥٠٠ د	U.K.	£ 1.50
الأردن	٨٠٠ ف	البحرين	١٫٥٠٠ د	ليبيا	١ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٢ ر	المغرب	٥ د	Greece	Drs 200

١ - رحلة العودة

وصلت ليزا أمام باب شقتها وهي تحمل بيد باقة من الاقحوان وباليد الأخرى كيساً من المؤن. وضعتها أرضاً وبحركة عصبية أخذت مفتاحها من جيبها ودخلت شقتها بغتة كأنها تقتحم دارها، فدوّى الباب خلفها.

ولدى سماعها الحركة علا صوت صديقتها ماندي من الداخل:

- ليزا هذا انت بالطبع! لا أحد سواك يحدث جلبة كالتي تحدثينها وانت تدخلين.

خلعت ليزا معطفها المخمليّ وقبعتها ذات اللون المنسجم مع معطفها ورمت بهما على المقعد باهمال.

توقفت ماندي عن عملها لحظة وانتبهت لباقة الاقحوان:

- لمن هذه الازهار الرائعة؟

حملت ليزا باقة الاقحوان ورمت بها في حركة فوضوية مع كيس المؤن على الطاولة في المدخل واتجهت نحو صديقتها التي عادت الى عملها في الرسم الدقيق على الأواني الفخارية.

قالت ليزا بشيء من التعب:

- هذه الباقة لك. كيف ترين لونها الزاهي؟

تركت ماندي ريشة الرسم جانباً ونظرت الى صديقتها التي وقفت أمامها كفرس بريّة فبدت لها ليزا أنيقة في ثوبها الاخضر الناعم الذي يزيدها جمالاً ويعطي سحراً خاصاً لعينيها اللوزيتين ولشعرها الأحمر. ثم تأملت باقة الاقحوان ذات اللون البهيّ:

- أجدها رائعة!

أجابت ماندي موافقة:

ـ انها تشبهك، طبيعية، متينة وفي الوقت نفسه فيها شيء من الغرابة.

ضحكت ليزا لدى سماعها تعليق صديقتها ماندي وأجابت عاقدة الجبين:

ـ لا أجد نفسي غريبة الاطوار الى هذا الحد الذي تتكلمين عنه كما اتمنى ان لا ابدو صلبة كما تزعمين!

قامت ماندي عن طاولة عملها وبدأت ترتب الاقحوان في اناء:

ـ لا اقصد شيئاً معيناً، كنت فقط ألمح للون الاقحوان فهو من الالوان التي تحبينها عادة. اجد ان الذهبي والاسمر والاخضر والاحمر، اي الالوان الخريفية عامة هي من الوانك المفضلة!

بدأت ليزا تهدأ قليلا وبدا ذلك على وجهها:

ـ صحيح! انت على حق! هذا لطف منك لاشارتك الى الالوان التي احب!

وقفت ليزا وبدأت تتمشى في الغرفة حول الطاولة حيث بسطت ماندي أوانيها الفخارية:

ـ اراك قمت بعمل جدّي؟!

ـ لست راضية على ما فعلت اليوم، هذا لا يكفي، ما زلت متعبة من رشحي!

ترتاح ماندي في جلستها قليلاً كأنها تبعد عنها التعب وتكمل:

ـ ابكرت اليوم في عودتك، هل من جديد على صعيد عملك؟

أجابتها ليزا بشيء من السخرية والتردد:

ـ تشاجرت مع مدير عملي هاتون وتركت المشغل على الفور.

يدير هاتون مشغل الألبسة النسائية، الذي تعمل فيه ليزا، كمصممة أزياء، منذ عامين. ذاع صيت المشغل، بفضل جودة اقمشته وابتكاره لموديلات حديثة، ولطرافته في تصنيع الثياب، ولكن وللأسف، بقدر ما كانت ليزا محبوبة، وحائزة على تقدير واعجاب مدير المشغل، السيد هاتون، بقدر ما كانت المشاكل تقوم بينهما نظراً، لطبعها المشاكس الذي كان يسبب لها مشاحنات كثيرة.

تعرف ماندي ان ليزا ليست مرتاحة كلياً في مركز عملها، لذا عادت

تسألها من جديد، بشيء من القلق والفضول:

ـ هل تبغين العودة الى المشغل؟

قاطعتها ليزا بحدة:

ـ لن أعود، حتى لو أتى مدير المشغل السيد هاتون بنفسه، وركع أمامي متوسلا عودتي.

لم تكن لهجة ليزا امراً غريباً على ماندي، لأنها اعتادت حدّة طبع صديقتها، وليست هذه المرة الاولى التي تنفعل فيها ليزا بهذه الطريقة. لكن مجرّد تفكيرها بالسيد هاتون راكعاً أمام ليزا، متوسلا عودتها الى مشغله، اثار انتباهها، ولم تتمالك نفسها، فانفجرت ضاحكة:

ـ ريشارد هاتون، الرجل المتعالي، الساخر، المتكبر، جاثياً أمام ليزا روي! راجياً اياها العودة الى عملها... ليس بوسعي تصوّره على هذا النحو...

أجابت ليزا بمرارة، وبعنف:

ـ في الواقع، انه يتمنى رؤيتي راكعة أمامه، أتوسل اليه وستكون هذه اللحظة من أسعد لحظات عمره، لأنه يعتقد انني استحق هذا، وانه دائماً على صواب فيما يقول ويفعل. لديه لذة في اذلالي واهانتي، ارضاء لنزواته. مهما فعلت، فهو ينتقدني باستمرار. اليوم مثلا، انتقد موديلا امضيت وقتاً طويلا في تصميمه. حاولت اقناعه ان هذا الموديل سيباع باعداد كثيرة في السوق وسيلاقي رواجاً، دون جدوى، طبعاً، فكلام الملوك لا يعاد، هو المصيب وأنا المخطئة. مثله كمثل سائر الرجال. لا يأخذون بعين الاعتبار ما تقوله وما تفعله المرأة. حجتهم الوحيدة، ان النساء، لا دور لهن في الحياة العملية، ودورهن الأساسي هو العمل في المنزل وتربية الاطفال. وكل ما يتعلق بالاشياء الاخرى، لا علاقة للمرأة به، فلا يمكن ان تكون المرأة بمساواة الرجل فالذكاء، والقدرة، والنجاح، هي صفات تخص الذكور فقط!

سمعت ماندي بهدوء بالغ، ليزا، ولم يسعها الا ان تقول، بجرأة:

ـ لكن هذا صحيح!

كانت رؤية ليزا، على هذه الحال، تقيم الدنيا وتقعدها كأنها في ساحة قتال تسلّي ماندي وتلهيها، لذا، تجرأت وقالت لها: هذا صحيح، ولم تكد

تنه عبارتها هذه، حتى بادرتها ليزا على الفور بحنق اكبر، وبلهجة مصعوقة:

ـ انت تعرفين جيداً يا ماندي ما اقصده من كلامي، كما تعرفين أيضاً ان للنساء مواهب كثيرة على الرجال الاعتراف بها بدلا من طمسها وانكارها. ريشارد هاتون من فئة الرجال الذين لا يقدرون مواهب النساء، لهذا السبب يعتبرني عاجزة عن التفكير بصورة موضوعية. اعتباره هذا ليس منطقياً ولا ينطبق عليّ لانه ينطلق فقط من كوني امرأة ولا يحكم عليّ حسب قدراتي، وهذا شيء ارفضه!

ـ فكرت في بداية عملك في المشغل عند ريشارد هاتون، انك تميلين الى هذا النوع من الرجال، وربما تقعين في حب رجل كريشارد مثلا!

ـ لا، ابدا. كنت اقدّر في ريشارد هاتون مهارته وحذقه فقط!

ـ هذا لا يكفي لاشعال نار الحب.

أجابت ماندي بذكاء ودهاء، فعبست ليزا فجأة وقالت:

ـ لا أعرف ما هو الحب بالضبط. لكنني متأكدة من شيء، انه لا يمكنني الوقوع في حب رجل لا يقدّر النساء ولا يحترمهن كريشارد هاتون.

اقتربت ليزا نحو النافذة وتركت نفسها تسرح لحظة في المنظر الخارجي. الطقس شتاء والناس تركض تحت قطرات المطر او تلجأ الى ظلال الاشجار. قالت ليزا محدثة نفسها بصوت خافت وهي تمعن في التأمل.

ـ كم أكره شهر تشرين الثاني (نوفمبر)... عندما تشتاق الى العصافير، والفاكهة والازهار اني أردد قولا لشاعر ما...

شعرت ماندي ان ليزا حزينة، فارادت ان تكيّف الجو، فقفزت واقفة وقالت بفرح:

ـ سأقوم بتحضير ابريق من الشاي. قبل ان انسى، لك رسالة على المدفأة من اسكتلندا.

لم تتحرك ليزا من مكانها بل بقيت واقفة أمام النافذة، سارحة في افكارها، شجارها مع مدير عملها ريشارد هاتون، هذا الصباح، أتعبها، وافقدها عزيمتها، فبدا لها من الصعب جداً معاكسته، هي التي كانت تعتقد انه يمثّل لها، كل ما تقدره في الرجال عامة. لكنها لم تخطىء في تعلقها بموقفها، كان عليها التمسك بشدة برأيها، كما فعلت، ليس هناك أيّ مبرر لخضوعها لمتطلبات مديرها، ولعدولها عن قناعاتها، لارضائه، هو الذي

يتقيّد بنزواته، دون النظر موضوعياً الى سير العمل. انها الآن تتمتع بحريتها الكاملة، المطلقة، تماماً، كخالتها مود روي...

كانت ليزا تردد هذه الافكار لنفسها، وهي لا تزال واقفة أمام النافذة، تراقب المنظر الحزين، وبدأت تخف عصبيتها، وتهدأ ملامح وجهها، وعند ذكرها لخالتها مود، تذكرت الرسالة التي تنتظرها من اسكتلندا. اتجهت نحو المدفأة، وابتسمت لدى رؤ يتها الخطوط الناعمة على المغلف، خالتها مود، هذه المرأة العجوز، تعرفها ليزا من كتابتها الرقيقة وهي تعيش وحيدة منذ فسخها خطوبتها من شاب، خسر مكانته في حياتها، وقلّ اعتبارها له، ومنذ ذلك الحين، ابعدت عنها فكرة الزواج، ولا تزال حتى اليوم، بالرغم من السنين، تحافظ على حيويتها ونشاطها. تمرّ هذه الافكار في بال ليزا، وهي تفتح رسالة خالتها بتأثر:

«- عزيزتي ليزا.

مرضت لفترة طويلة، ولست اليوم على أحسن حال. صحتي المتدهورة تناسب احد الاشخاص في القرية الذي يتمنى لي الموت عاجلا طمعاً منه في امتلاك بيتي، والاراضي التي حوله. زارني هذا الشخص مراراً، ليعرض عليّ شراء مسكني وكان جوابي بالنفي طبعاً. حاولت اقناعه بالعدول عن مشروعه، متذرعة، بان احد افراد اسرتي سيرث ملكيتي الخاصة بعد موتي، ولا أفكر اطلاقاً بالتنازل عنها لشخص غريب، حتى لو كان، هذا الشخص اسكتلندي الأصل مثلي. لكن يبدو انه لم يقتنع بحجتي هذه.

رأيته هذا الصباح بالذات، يدور حول نافذتي، ويقيس الارض التي تحيط بالشاطىء.

ليزا، انا قلقة وخائفة من نوايا هذا الرجل. ربما يسعى الى البناء في البقعة المواجهة لمنزلي، فيحجب عني المنظر المشرق على البحر. ما يزيدني قلقاً وتوتراً انه ينتمي الى احدى العائلات العريقة والاصيلة في اسكتلندا. فلو كان غريباً عن منطقتنا، لكانت حجتي اعطت نتيجة. لكن اريده ان يفهم نهائياً، ان عائلة روي، هي أيضاً من احدى العائلات العريقة والأصيلة، ولن نتنازل عن املاكنا، لعائلة اخرى، ومتى اخذنا قراراً لن نتراجع عنه. لذا اطلب منك يا عزيزتي المجيء في فرصة عيد الميلاد ورأس السنة، لأبرهن له ان لي قريبة من عائلة روي، تتمسك هي ايضاً

بأملاكها، وهي التي سترثني بعد موتي. لا تظني انني ابغي مجيئك لهذا السبب فقط، فأنا افتقد وجهك الطفل، الذي غاب عني وقتاً طويلاً».

في هذه الاثناء دخلت ماندي بابريق الشاي، ولم يغب عنها وجه ليزا المكتئب فبادرتها بلطف:

ـ أخبار سيئة؟

ـ لا، ليس بالتأكيد. كانت خالتي مود مريضة. تريدني ان ازورها في فرصة الميلاد ورأس السنة. مسكينة، تطلب مني المساعدة لحلّ مشاكلها.

ـ كم مضى من الوقت لغيابك عنها؟

ـ سبع سنوات تقريباً، زرتها آخر مرة مع والدتي، قبل سفر والدي الى جامايكا اذكر ان والدتي الحّت عليّ كي ارافقها، كأنها تعرف مسبقاً انها لن ترى اختها فيها بعد، وكان حدسها صادقاً، اذ ماتت والدتي باكراً، وبعد وفاتها فكرت مراراً بزيارة خالتي، وكان الوقت يغدرني، كنت أمضي عطلتي في السفر، أو عند أبي.

ـ اذاً لا شيء يمنعك من السفر في الوقت الحاضر، حتى لو اتصل بك ريشارد هاتون وطلب منك العودة الى العمل. انت بحاجة يا عزيزتي ليزا، الى القليل من الراحة والهدوء. العطلة ستفيدك حتماً لاتخاذ قرار على صعيد عملك.

بدأت ليزا تتمشى في الغرفة بخطى واسعة، سارحة في افكارها، تعيد في رأسها، رسالة خالتها وما قالته ماندي، لا شك ان صديقتها ماندي على حق فيما تقول، فهي بأمسّ الحاجة الى عطلة.

وبدأت تراودها صورة المركب الذي يقلها الى الجزيرة وصورة البحر الذي يلمع تحت الاضواء، وصورة القرية القديمة خلف البحر، قرية اردمونت التي تعتبر مركزاً مهماً لرياضة اليخوت والمشهورة أيضاً بمصانعها العتيقة لغزل أجود انواع الاقمشة، خاصة التويد. لاقت اردمونت لسنوات مضت، ازدهاراً، يصعب على اهاليها تناسيه بسهولة... تمرّ كل هذه الصور أمام ليزا، وهي تتمشى في غرفتها ويعود الى ذاكرتها بيت خالتها مود روي، المصنوع من الحجر الأسمر العتيق والصلب، والذي يطلّ على البحر من خلف التلال المكسوة بالاشجار ذات الازهار البنفسجية، ويشرف على المرفأ حيث ترسو اليخوت بهدوء. تعود هذه الصور الى ليزا

دفعة واحدة، ويزداد فيها الشوق الى السفر، ورؤية خالتها مود روي بعد غياب دام سبعة أعوام.

فجأة رنّ الهاتف في شقة ليزا وماندي فأعاد ليزا الى الواقع فنادت صديقتها بنشاط وحيوية:

ـ ماندي! ارجوك، ايمكنك الاجابة على الهاتف! اظنه ريشارد هاتون، قولي له انني سافرت ولا أود العودة الى العمل، اطلاقاً!

هكذا قررت ليزا، وهكذا تركت عملها عند مديرها ريشارد هاتون، لتنطلق نحو الجزيرة خلف البحر، نحو قرية اردمونت حيث تنتظرها خالتها. كان تنفيذها سريعاً، فلم تمض على قرارها فترة قصيرة، حتى كانت على ظهر المركب الذي ينقلها الى اردمونت بعدما ابرقت لخالتها، تخبرها عن مجيئها، ووجدت من يحلّ محلها بالقرب من صديقتها ماندي.

ليزا، الآن على ظهر المركب، والهواء البارد يلفح وجهها، تقف منتصبة، تتأمل الجزر التي تلوح امامها خلف السحاب، وتحمي كتفيها ورأسها داخل ياقة معطفها التي رفعتها لتجابه هبات الهواء القارسة وبينما هي سابحة في تأملاتها أطلّ عليها صبي أشقر في السابعة من عمره يرتدي معطفاً مناسباً للرحلة وبيده قطعة حلوى يتذوقها باهتمام. اقترب منها الصبي وهو يحدق في وجهها وقال بفضول:

ـ ترتدين معطفاً واسعاً كالساحرات، الا تخافين الهواء؟!

أجابته ليزا بابتسامة:

ـ معطفي يدفئني بما فيه الكفاية... فلا أخاف الهواء.

ـ يحب أبي مثلك الهواء الطلق، لكن سارة لا توافقه الرأي فهي تكره الهواء.

تعجبت ليزا من مبادرة هذا الصبي تجاهها ومحادثته معها بعفوية بالغة وتساءلت كيف انه يتجوّل بمفرده على ظهر المركب بدون مراقبة أحد من ذويه فسألته مستفسرة:

ـ أين والدتك؟

ـ في تازمانيا.

وأضاف بلا مبالاة:

ـ يتناول أبي طعام العشاء مع سارة في الداخل.

وصل المركب الى المرفأ واختفى الصبي فجأة كما اطلّ على ليزا. وبدأ المسافرون بالهبوط واتجهت ليزا اليهم تاركة تأملاتها تغيب في الوان البحر. وفجأة سمعت صوت رجل خلفها يناديها:

- صباح الخير.. الآنسة ليزا روي سميث أليس كذلك؟

استدارت ليزا، ناحية الصوت، فاذا الرجل الذي ناداها، أشقر، وسيم، بهيّ الطلعة، مدّ يده للتحية، فبادلته السلام.

- نعم أنا ليزا.
- أعرّفك بنفسي. ساندي لويس. تقابلنا منذ سبع سنوات، اتذكرينني؟
- انت المدير المسؤول عن مصنع أقمشة التويد... تذكرت، نعم. لو تفضلت وقلت لي، من هو الصبي الذي كان يكلمني على ظهر المركب؟
- انه جوني لامون ابن صديقي فرايزر يعامله والده بكثير من الاستقلالية، كأنه راشد... هه... هذا ابي يتجه نحونا، سنرافقك حتى منزلك...

استقبل والد ساندي، تشارلز لويس، ليزا، بحرارة، وبلهجته الاسكتلندية الاصيلة الصافية:

- هيّا بنا، مود في انتظارنا، وعدتنا بقالب من الحلوى وبكثير من الشاي.

انطلقت السيارة، بليزا روي سميث، وساندي لويس، وتولى والد ساندي، السيد تشارلز لويس القيادة. وبينما كانت سيارتهم تسير على مهل في الطرقات الجبلية، الضيقة، تنبه ساندي لسيارة كبيرة سوداء تقترب منهم، فقطع حديثه مع ليزا ليقول لوالده:

- أبي، خذ اقصى الشمال، هنالك سيارة تقترب منا بسرعة.

لا تتسع الطرقات الضيقة في اردمونت لسيارتين، لذلك كان السيد تشالز لويس يسير على مهل. لكن عندما اقتربت السيارة السوداء وبدأ سائقها يعطي اشارة للمرور مطلقاً العنان لزمّوره طالباً التجاوز، اضطر السيد تشارلز الى الاسراع متمتماً بغضب:

- من يعتبر نفسه هذا الوقح المتغطرس! لن افسح له مجالا للمرور، ليست الطرقات له، أيظن انه يملك كل شيء؟

التفتت ليزا الى الوراء ولمحت سيارة سوداء كبيرة تزاحم سيارتهم، فما كان من ساندي الذي حافظ على هدوئه الا ان انفجر ضاحكاً وقال معلقاً:

- ان كان لا يملك كل شيء، فهو يملك القسم الأكبر من القرية. اسمعني يا والدي وكن عاقلا، خذ أقصى الشمال، وانحرف قليلا ودعه يمرّ.

ولم ينه ساندي كلامه لوالده حتى دوى زمور آخر أقوى من السابق مما زاد السيد تشارلز عصبية. فالتفت ساندي متفقداً السيارة التي خلفهم وجدد دعوته لوالده بشيء من القلق:

- دعه يمر، سارة ترافقه مع ابنه جوني.
- حسناً، سادعه يمر.

ثم اضاف باستغراب:

- ماذا تفعل سارة هنا؟

أجاب ساندي والده بتجرّد وبوجه قاتم:

- أتت لتمضي العطلة عند ذويها، بعد حصولها على الطلاق.

لاحظت ليزا ان ساندي، بدا حزيناً فجأة وهو يتكلم عن سارة، بالرغم من لهجة لامبالاة التي حاول اظهارها.

في هذه اللحظة، تجاوزتهم السيارة السوداء محدثة ازيزاً مزعجاً فلمحت ليزا بداخلها على المقعد الخلفي، الصبي الذي حادثها على ظهر المركب. لم يستطع السيد تشارلز كتم شعوره، فتذمر قائلاً:

- انظر الى هذا المجنون، كيف يقود سيارته بسرعة، مسكين ابنه.

فانزعج ساندي هذه المرّة من تعليق والده وأجابه:

- لا تنسى ان فرايزر يتولّى امر تربية ابنه جوني بمفرده، وانه يبذل ما بوسعه من أجل ارضائه.
- كل امرأة تحلم بالاهتمام بهذا الصبي، وستكون سعيدة ان شاءت لها الظروف لكن الأمر العسير، في هذا الموضوع، يعود الى اطباع الأب التي لا تطاق. ساندي قل لي ماذا طرأ فجأة على فرايزر حتى قرر شراء «فيللا الشروق».
- لم يطرأ عليه شيء، كل ما في الأمر، ان عائلة موريسون، تود بيع املاكها، وهو الشاري الوحيد في المنطقة، وسيحول «فيللا الشروق» الى

قندق فخم، وهذا ما ينقصنا بالفعل في اردمونت. لم تكن يوماً دوافع فرايزر في التوسع والامتلاك سيئة، كل ما يفعله يعود بالفائدة على قريتنا، كانت دائماً مشاريعه مدروسة وواضحة، لذا، علينا ان نشكره ونحفظ له الجميل. ألم يكن الوحيد الذي أعاد حركة المراكب الى الشاطىء؟ يكفي انه بفضل مبادرته هذه، عاد الكثيرون من شبابنا الذين تركوا في السابق قريتهم بحثاً عن عمل في الخارج!

فضحك السيد تشارلز لويس هازئاً:

ـ أنت تدافع عنه بضراوة.

ـ أظنك نسيت ان فرايزر لامون انقذني من الغرق عندما كنت صغيراً.

والتفت ساندي الى ليزا، التي كانت تسمع بهدوء وبانتباه هذا الحوار العنيف بين ساندي ووالده، فقال لها ساندي مجاملا:

ـ معطفك أنيق جداً، وعلى درجة كبيرة من الذوق!

ـ انه من تصميمي.

ـ أرجوك، لا تعيري انتباهك لشجارنا انا ووالدي، ويهمني جداً ان يكون هذا المعطف من تصميمك. أظنّ ان هذا النموذج من المعاطف، يليق بقماش فخم، كالتويد الذي ننتجه.

ـ تثيرني زيارة مصانعكم للاطلاع على اقمشتكم، هل هذا ممكن؟

ـ بكل تأكيد! عندما تشائين يهمني جداً ان تزوري مصانعنا وتشاهدي كيف ينسج القماش ويلوّن، أنت مدعوة من هذه اللحظة بالذات.

ـ عملت مصممة أزياء لمدة سنتين، لذا يهمني الاطلاع عن كثب على عملية نسج القماش. هذا الأمر يستهويني للغاية!

ـ انت الشخص الذي نحن بحاجة ماسة اليه. ها قد وصلنا عند خالتك مود.

أوقف السيد تشارلز السيارة امام الباب الخارجي لمنزل مود روي، وهرعت ليزا الى المدخل تتفقد عن قرب المكان الذي غابت عنه. لأول وهلة بدا لها كل شيء كما كان في السابق، ولم تلحظ الفرق الا عندما اصبحت على بعد مترين من منزل خالتها مود، فلفت انتباهها عنبر جديد للجهة الشرقية، يغطي منظر التلال المجاورة للمنزل. ادركت في الحين اهمية الرسالة التي بعثت بها خالتها اليها وأهمية مجيئها الى اردمونت. وبدأت

تدور بافكارها حول هذا الشخص الذي تكلمت عنه خالتها والذي يرغب في شراء منزلها، انه الشخص نفسه، الذي دار حوله الحديث بين ساندي ووالده، فرايزر لامون، من اجله اتت الى اردمونت.

فتحت مود الباب، فبدت عمتها كما في السابق، تتكىء على عصاها، ناعمة، هادئة، خلف بسمتها الرقيقة، تخفي وجهاً وقوراً. فسارعت مود اليها:

ـ ليزا، واخيراً اتيت إلى اردمونت! ليزا يا عزيزتي، ما زلت تحافظين على نضارتك... لكنني أراك نحيلة. أعرف اطباعك، تحافتك هذه مطابقة لذوق العصر، وانت يهمك كثيراً التمشي وفق العادات.

ثم تقدمت مود روي، من ساندي وتشارلز لويس، وابتسمت لهما شاكرة، في هذه الاثناء كان ساندي ينقل حقائب ليزا الى الداخل:

ـ أهلا وسهلا بكما. تفضلا! ساندي لم ارك من مدة طويلة... لم هذا الغياب؟ تفضلوا... الشاي وقالب الحلوى بانتظارنا جميعاً.

دخل الجميع الى الصالون، ودارت الاحاديث كالعادة حول ما يجري في القرية، في هذه الاثناء استغنمت ليزا الفرصة واخذت تتأمل منزل خالتها بعد غيابها الطويل عنه. لم يزل الصالون كما كان عليه في السابق: الأواني الفضية، الخزف الصيني، حتى النار في المدفأة التي تبعث دفئاً خاصاً وتخفف من وطأة الوحدة، ما زالت تحافظ على رونقها. تدور ليزا في البيت، وتتفقد كل غرض في مكانه. كل شيء يبدو لها مألوفاً: العاج الافريقي، التماثيل الصغيرة، الملاعق الفضية المنقوشة، الستائر السميكة التي تخفي واجهة المنزل الزجاجية، لم يتغير شيء في الداخل، ما زالت خالتها تحافظ على الأسلوب نفسه، فرحت ليزا لشعورها هذا ولم يعكّر صفوها الا هذا العنبر الذي رأته عند وصولها.

عادت الى زائريها السيد تشارلز وساندي لويس. امضوا سهرة ممتعة أمام المدفأة، يتجاذبون اطراف الحديث. وقبل ان يغادر ساندي لويس منزل الخالة مود، كرر على ليزا الدعوة لزيارة مصانعهم. وكانت فرحة الخالة مود كبيرة فعبّرت عنها بقولها:

ـ هكذا اربح ليزا مدة أطول! أظنها لو زارت مصانعكم في اردمونت لقررت المكوث هنا نهائياً... وبهذه الطريقة أكون قد اثبتت لهذا الوغد

فرايزر، انني لم أكذب عليه عندما قلت له ان أحد افراد اسرتي، سيسكن هذا البيت معي.

فضحك الجميع لانفعال الخالة مود، وأضاف ساندي مازحاً:

ـ لم تكن لديك حجة اخرى لارغامه على العدول عن فكرته في الوقت الحاضر!

ـ لكنه لم يغير رأيه، يا ساندي، أظنه سيبدأ ورشة البناء قريباً في الارض السفلى التي تواجه أرضي تماماً.

ـ يجب ان تمنعيه.

هتف السيد تشارلز بغضب:

ـ انه يتعدى على املاكك الخاصة، هذه حقوقك، راجعي القوانين.

أجابت مود بحسرة:

ـ حاولت معه مراراً دون جدوى. استشرت اخيراً المحامي موردو ماتزيس. ولم أصل الى نتيجة بعد، كان جواب المحامي واضحاً، طالما ان فرايزر لا يحجب عني نور الشمس، فلا يحق لي تقديم شكوى ضده.

فأضاف السيد تشارلز، بلهجة مستسلمة:

ـ لم يغب عنه شيء، فرايزر اللعين، حسب حساب كل شيء.

ـ صحيح! حسب حساب كل شيء. أما الآن فلا يمكنني التراجع عن موقفي، صممت خوض هذه المعركة ضد فرايزر حتى النهاية، ولن أقبل بالهزيمة ابداً.

هكذا انقضت السهرة عند مود روي وذهب المدعوان، لكن الخالة مود، لم تخلد الى النوم، بل أمضت الليل قرب المدفأة، تخبر ليزا عما يشغل بالها:

ـ لم أتخلّ طوال حياتي عن استقلاليتي بل بالعكس حاربت بضراوة من أجل الحفاظ على حريتي الشخصية، وعلى أرضي وبيتي. أما اليوم، فانا أكبر سناً ولم تعد لي المقدرة على العراك، لذا يا حبيبتي طلبت مساعدتك. قضية فرايزر ارهقتني. هو ما زال شاباً، قوياً، مندفعاً، وما يزيده ثقة بنفسه، جاذبيته التي لا تقاوم!

بدأت قضية فرايزر تثير فضول ليزا:

ـ خالتي، اخبريني من هو فرايزر بالضبط؟ من أين أتى قبل مجيئه الى

اردمونت؟ الاخبار عنه متضاربة، هناك من يقول انه أتى من المهجر، ومنهم من يزعم انه عندما كان صغيراً درس هنا، في مدرسة القرية.

ـ يا حبيبتي، فرايزر لامون، من عائلة كريمة وأصيلة في اردمونت، التي امتازت عن سواها، بشهرتها في صنع المراكب منذ أجيال بعيدة. والد فرايزر، شارلي لامون، لم يوفق في حياته. لم يكن مثلما هو ابنه اليوم. كانت تنقصه الحنكة التي يتمتع بها عامة رجال الاعمال الناجحين. لذا، قبل وفاته في حادثة غرق، كان يشرف على الافلاس.

فقاطعتها ليزا، بتعجب:

ـ اخبريني كيف جرت هذه الحادثة؟

ـ حادث مؤسف يا ليزا... في أي حال، سأخبرك... كان شارلي لامون كعادته، كل مساء، يقود مركباً الى المرفأ ولا أحد يعرف كيف انقلبت عليه عارضة الصاري وأصابته في جبينه، فهوى عن متن المركب وغرق في الحال. في هذا الوقت كان فرايزر في الثانية عشرة من عمره، فاضطرت والدته، بعد هذه الحادثة، الى بيع حوض السفن والسفر الى غلاسكو عند ذويها اخذة معها ولديها، فرايزر واخته آنا. لم يكن الامر سهلا بالطبع على فرايزر، فهو كوالده، يعشق منذ صغره صنع المراكب ويكفيه انه اضطر الى ترك المكان الذي ولد فيه. صدمة قوية حلت على عائلتهم بوفاة الوالد كان لها اعمق الاثر في نفسه.

صمتت الخالة مود قليلا، ثم اردفت قائلة بتهكم، كأنها لم تنس معاملة فرايزر لها:

ـ مهما كانت الصدمة عنيفة على عائلة لامون فهذا لن يغيّر شيئاً من تصرفه معنا. اظنه كان في السابق قاسي القلب وعديم الشعور، لذا هو اليوم يتعامل على هذا النحو.

ـ متى عاد الى اردمونت؟ لم أشاهده خلال زيارتي الأخيرة لك منذ سبع سنوات.

ـ عاد الى القرية منذ خمس سنوات ولا أحد يعرف أين كان، ومن أين أتى. رأيناه فجأة بيننا مع ابنه، هو يزعم انه ابنه في أي حال، لاحظت علامات شبه بينه وبين ابنه. من المعقول جداً اذاً، ان يكون هو والده. لا أحد يعرف شيئاً أيضاً عن زوجة فرايزر، يبدو ان فرايزر هاجر الى تازمانيا،

بعدما انهى دراسته في بناء السفن ويقولون ان تازمانيا، تعتبر مركزاً هاماً لصناعة المراكب.

تابعت ليزا بشغف، وعادت تسأل من جديد:

- لماذا عاد اذاً؟

- اعتقد ان الحنين الى بلاده هو السبب. عاد ليشتري حوض السفن الذي كان يملكه والده. كثيرون قبله، غرباء عن المنطقة، استملكوا هذا الحوض، وفشلوا في استثماره.

- يعني، هو الوحيد الذي نجح في تسيير الاعمال وادارتها. يكفي كم بنى من عنابر، واليوم يبغي شراء منزلك يا خالتي العزيزة.

- منذ عودته الى اردمونت، وهو مأخوذ ببناء المراكب. لا شيء يلهيه عن عمله هذا. في أي حال، انه بارع في مهنته ويتعامل مع أهمّ رجال الاعمال، ولديه عدد لا يستهان به من الزبائن، الذين يقصدونه من كل صوب. كل شيء يسير على ما يرام، مشكلته الوحيدة هي التالية: بما انه لا يستطيع التوسع، لا من ناحية الغرب، ولا من ناحية الشمال، بسبب الشاطىء الصخري الذي يعيق تقدمه، يفكر بشراء أرضي، هذا اذا قبلت عرضه. زارني ثلاث مرات الاسبوع الفائت بهذا الصدد. وفي كلّ مرة كنت أطلب منه العدول عن فكرة الشراء. صمدت تجاه عرضه المغري، لأنني لا أقبل ان أتخلّ عن الاملاك التي تخصنا، الى عائلة اخرى. ولهذا قرر البناء في البقعة المجاورة.

لدى سماعها هذا، قطبت ليزا جبينها وقالت:

- من تخص هذه الأرض المجاورة للبحر؟

- انها لعائلة موريسون.

- فيللا الشروق اجل. تذكرت ان فرايزر يودّ شراء «فيللا الشروق» من عائلة موريسون. حدثني ساندي عن هذا الموضوع، وقال ان فرايزر يريد انشاء فندق فخم مكان الفيللا.

فانتفضت الخالة مود، وقالت بغضب شديد:

- أي رجل شيطاني، هذا! كأنه لا يشبع من امتلاك الاراضي. الا يكفيه ما ابتاع حتى اليوم من مساكن لعماله. كيف يجرؤ ان يقدم على عمل كهذا؟

بدت الخالة مود في حالة توتر شديد، ولم تعرف ليزا ما العمل للتخفيف عنها. فاكملت الخالة بصوت خافت:

- أنا متأكدة انه سينجح في مشروعه. لا أحد سواه قادر على شراء «فيللا الشروق» من عائلة موريسون. ليزا، يجب ان نمنعه من تنفيذ هذا المشروع.

أجابت ليزا على الفور:

- هل تملكين ما يلزم من المال؟

فوجئت الخالة مود بسؤال ليزا المباشر، وحدقت فيها بتمعّن فرأت في عينيها لمعاناً مضيئاً، فتشجعت وأجابت:

- لدي مبلغ بسيط. ماذا تقصدين من سؤالك؟

- أقصد شراء «فيللا الشروق» من عائلة موريسون.

- هذا أمر مستحيل، يطلبون مبلغاً كبيراً، لا أحد سوى فرايزر يقدر على الشراء بهذا السعر.

- من أين أتى فرايزر بثروته؟

- تزوج من امرأة غنية في تازمانيا، وورثها بعد وفاتها.

- يا له من محظوظ، وأنا يمكنني طلب قرض من ابي.

- ليزا أنا لا افهمك، ما هي غايتنا من شراء «فيللا الشروق»؟

- بناء فندق بالطبع! فرايزر على حق! اردمونت بحاجة الى فندق. فهو لم يعد الوحيد بعد الآن في تخطيط المشاريع وتنفيذها. هل من مانع لديك؟

هدأت الخالة مود قليلا، وتأملت ليزا بفرح، ثم انفجرت ضاحكة، كطفلة:

- ليزا، انت الشخص الذي يناسبني، كنت أعرف ذلك عندما كتبت اليك. صدقيني، انني بدأت اضعف عندما رأيته يباشر البناء، ولم أجد الطريقة الملائمة لمنعه. وها انت الآن تبعثين فيّ الأمل من جديد، واشعر بتحسن. لم اضحك على هذا النحو منذ سنوات.

فرحت ليزا، لدى رؤية خالتها مرتاحة ومطمئنة.

- أنا سعيدة أيضاً يا خالتي. سعيدة بك. لا تخافي، بعد الآن، سأكتب لأبي قريباً جداً، وسألقن السيد فرايزر درساً لن ينساه طوال حياته.

- انتظري قليلا يا ليزا، لديّ فكرة ارغب في تنفيذها قبل المباشرة

بمشروعك، ما رأيك لو ندعو جورج موريسون الى العشاء؟ أنا على يقين انه لن يرفض طلبي.

أضافت ليزا، بتحبب، وبتحدٍّ:

ـ فرايزر لامون... سوف ترى سيدات عائلة روي كيف يتصرفن في الوقت اللازم!

٢ـ ابتعدي عن ابني

لم يمض اسبوعان على وصول ليزا الى جزيرة اردمونت، حتى بدأت تتذوق الراحة والهدوء بفضل هوائها المنعش وسمائها الصافية التي تعكسها صفحة البحر الهادىء بابهى وازهى الألوان.

راحت ليزا ترقب تغيرات الطقس بلذة فائقة فالشمس لا تظهر في قرص السماء الا بعد الظهر تضيء الجبال البعيدة المكسوة بالثلوج، بألوان بنفسجية رائعة، قبل ان تغيب وراء الأفق...

كانت ليزا تشعر ان الأيام تمر بسرعة، نظراً لانشغالها بأمور كثيرة لم تكن تتوقعها قبل قدومها الى اردمونت.

يكفي انها كانت تهتم بنزهة كلاب خالتها، فتخرج من أجل ذلك ثلاث مرّات في اليوم، مما كان يسمح لها بالتجول في اردمونت وجوارها، هذا عدا اهتمامها بترتيب المنزل وتحضير الطعام. هذه الأمور كانت ليزا تتركها في السابق على عاتق صديقتها ماندي. فخالتها السيدة مود روي تنام حتى الثانية عشرة ظهراً، وعليها الاهتمام بترتيب المنزل وتحضير الطعام. مكوثها في اردمونت سمح لها باكتشاف فن الطبخ. فكانت تجد لذة في اعداد الطعام، كما كانت تحب التسوّق، فتنزل كل يوم الى شوارع اردمونت الضيقة، لتبتاع حاجياتها. وعندما يكون الطقس ممطراً تقود سيارتها. وذات مرة، وهي تقصد سوق الخضار، والمطر يتساقط، دخلت أحد محلات السمانة، فسمعت المسؤولة عن المحل تتحدث الى أحد زبائنها:

ـ تفضلي، يا سيدة موريسون! هذه اغراضك! الطقس سيء اليوم للغاية!

لدى سماعها اسم السيدة موريسون، التفتت ليزا وارادت مشاهدتها عن كثب. لكن السيدة موريسون اكملت حديثها مع المسؤولة عن المحل:

- أجل، الطقس سيء! وأنا مضطرة للعودة سيراً على الاقدام! تعطلت سيارتي فجأة ووجدت نفسي تحت المطر من دون وسيلة نقل!

ضحكت السيدة موريسون واكملت:

- من حسن حظي ان ابني كافان هنا!
- متى عاد كافان؟
- نهار أمس، وسيمكث معنا بضعة أيام!
- انك، بطبيعة الحال، سعيدة بعودته!
- هل عادت ابنتك مارجوري أيضاً؟
- لا، مارجوري ما زالت في عملها. انها مرتاحة حيث تعمل. شكراً لك. الى اللقاء.

سمعت ليزا هذا الحوار وهي تبتاع حاجياتها، فخرجت الى سيارتها بسرعة، والمطر لم يتوقف لحظة. صعب عليها السير، لكنها لاحظت السيدة موريسون واقفة على الرصيف، فاوقفت سيارتها ودعتها للصعود:

- سيدة موريسون، تفضلي!
- شكراً لك، يا آنسة، انت ابنة اخت السيدة روي، أليس كذلك؟ رأيتك تنزهين الكلاب، وقد حدثني زوجي عنك. كيف حال السيدة روي؟
- أحوالها الصحية متقلبة. احياناً تعود اليها العافية والعزيمة، كما من قبل... احياناً تكون ضعيفة.
- لكنها سعيدة الآن، من دون شك، بمجيئك الى اردمونت. لا أحد يحلّ محل العائلة والاقرباء عندما تقوى علينا مصاعب الحياة!
- اجل، ويا للأسف، حالتها هذه اصبحت مزمنة!

اكملت السيدة موريسون حديثها عن العائلة، وعن العلاقة التي تربط الأهل بعضهم البعض، وكانت تلاحظ ان ليزا تتبعها بانتباه، فاخذت تسرد عليها احداثاً ووقائع جرت في عائلة موريسون، تشهد للعون والمساعدة التي قام بها افراد العائلة في الظروف العصيبة. مثلاً، حدثتها كيف اعان اخ زوجها ابنتها مارجوري عندما اضطرت الى مغادرة اردمونت

فأمن لها عملا في مدينة غلاسكو.

وصلت السيارة امام «فيللا الشروق»، منزل السيدة موريسون، فوجدت ليزا اللحظة مناسبة لتسأل رفيقتها السؤال الذي يشغل بالها:

- سيدة موريسون، سمعت انكم سوف تغادرون اردمونت الى مكان آخر... هذا يعني انكم وجدتم من يشتري الفيللا؟
- اجل! والشاري لا يزاحمه احد! قدم لنا أفضل عرض، لكن زوجي جورج لا يرغب كثيراً في كل هذا، لأنه لا يميل الى السيد لامون منذ وقوع حادث ابنتي مارجوري...

قاطعت السيدة موريسون نفسها للحظة وجيزة، ثم اكملت:

- أحاول اقناع جورج بأن مواقفه من السيد لامون لا تتعلق بعرض شراء الفيللا. لو ان القرار يعود اليّ شخصياً، لما ترددت لحظة، فالعرض مغر، ولا نجد اليوم من يشتري بهذه القيمة!
- ما هو السعر الذي ترغبون؟
- فرايزر عرض ١٥ الف استرلينية، ولن اسمح لزوجي بالقبول بسعر ادنى... شكراً لمرافقتك لي. بلّغي سلامي لخالتك!

١٥ الف استرلينية... رددت ليزا هذا الرقم وهي تعود ادراجها الى منزل خالتها. قالت لنفسها ان لامون يملك ثروة لا بأس بها، تسمح له بمشاريع ضخمة. ادخلت سيارتها المرآب وركضت تحت رذاذ المطر وهي تفكر ما عساه يكون جرى بين ابنة السيدة موريسون والسيد فرايزر لامون، ووعدت نفسها بطرح هذا السؤال على ساندي في أول فرصة ومن اجل ذلك، قررت زيارة مصانع نسج التويد.

وقفت ليزا امام آلات الحياكة والنسيج والغزل، مشدوهة لجمال الألوان والجودة القماش، فقالت لساندي:

- من أين لكم هذه الألوان الرائعة؟ هذا الصباغ في غاية الذوق!
- انها الوان طبيعية، لا صباغ فيها! هي مزيج خاص من النبات، فجذور زهرة السوسن تعطينا هذا اللون الاصفر الباهت، بينما زهرة الخلنج تؤمن اللون الاخضر، وحزاز الصخر اللون البرتقالي الناعم.
- من الذي يهتم بعملية النسيج؟
- القرويون. كل واحد في منزله، والدتي مثلا تحيك هي أيضاً في

البيت، وبفضلها عدت واطلقت حياكة القماش في اردمونت. كانت وسائلنا بدائية وصرنا نحسن امكاناتنا ونتطور تدريجياً، حتى اصبحت معاملنا اليوم تحتوي على أحدث الآلات وتحتوي ثلاثين عاملا يعملون في بيوتهم، وعشرات من المبتدئين!

- هنيئاً لك، يا ساندي! لقد حققت نجاحاً بارعاً!

- اجل! انما هذا لا يكفي. تنقصنا الدعاية لدخول الأسواق التجارية الكبرى، ولزيادة المبيعات. صحيح انني املك القدرة التقنية، لكن ينقصني الحس التجاري! اذا رغبت في زيارتنا في المنزل، سوف ترين الاقمشة التي تحيكها والدتي، وفي الوقت نفسه تختارين قطعة تناسبك وترسمين موديلا لك!

قبلت ليزا دعوة ساندي ورافقته الى منزله. ويشرف منزل آل لويس على خليج صغير، وتزين واجهته نوافذ قديمة عالية. عند دخول ليزا برفقة ساندي، اطلّت على السيدة لويس، والدة ساندي، وهي تعمل في الحياكة في البهو الكبير الذي تستخدمه كمحترف لها. فنهضت السيدة لاستقبال ليزا:

- انت ليزا، أليس كذلك؟ ساندي اخبرني عنك، قال انك مصممة ازياء. لقد وصلت في الوقت المناسب! ما رأيك لو تلقين نظرة على القماش الذي انهيت حياكته منذ لحظة؟ الا ترين ان الوانه فاقعة؟

تفحصت ليزا القماش بتمعّن. انه من الوانها المفضلة، الأخضر القاتم الممزوج بالاصفر النحاسي، يتداخلان في القماش بشكل منسجم وانيق يدلّ على رهافة الذوق. قالت ليزا:

- انها الوان فاقعة، لكنها لو حظيت بيد ماهرة في الخياطة، لبهرت العين وأثارت الاعجاب!

بسطت ليزا القماش ثم لفته حول خصرها وأضافت:

- انه يليق بثوب شتائي.

سارع ساندي بالاجابة، مؤكداً بحماس:

- انت على حق، هذه الألوان تناسب لون عينيك وبريق شعرك، فتزيدك لمعاناً وكأنها الشمس مشرقة عليك!

لدى سماعها رأي ساندي ازدادت السيدة لويس حيرة وشاءت ان

تضيف شيئاً، فتلعثمت، لكنها تمالكت نفسها واطرقت قائلة بشيء من الثقة بالنفس:

- لو تقبل الآنسة ليزا وتصمم لهذا القماش موديلا ننشره في مجلات الموضة! نحن بامس الحاجة الى الدعاية.

كلام السيدة لويس اثّر في ليزا عميقاً، فابتسمت وهي تضع القماش على الطاولة:

- بالطبع، يمكنني ان ارسم موديلا، لكن لو تأمنت لنا عارضة ازياء..

فتمتم ساندي:

- سارة...

سألت ليزا:

- من هي سارة؟

- سارة شيزهولم. لم يمض وقت طويل على طلاقها من زوجها اللورد كاتهام.

عرفت ليزا فوراً ان سارة هي من العارضات الشهيرات اللواتي برع اسمهن في دور الألبسة النسائية، فسألت ساندي مجدداً:

- هل تعرفها يا ساندي؟

اسرعت السيدة لويس وأجابت:

- تسكن سارة مع اهلها هنا في اردمونت، في منطقة تدعى كردون هول. طلب والدها من السيد فرايزر لامون المباشرة باصلاح يخته الذي تعطل في العام الفائت.

وأضاف ساندي بشيء من الكآبة:

- لهذا السبب كانت سارة برفقة السيد لامون على المركب الذي نقلك الى اردمونت.

فتعجبت السيدة لويس من هذه الملاحظة وقالت:

- الم تكن سارة تعرف السيد لامون سابقاً؟

فأجابها ساندي، وقد نفد صبره:

- هل نسيت ان سارة غابت عن اردمونت مدة ثماني سنوات، وعادت بعد طلاقها.

- فعلا... مضى على غيابها ثماني سنوات.. الوقت يمضي

بسرعة... ما رأيكم لو نشرب الشاي؟ سيفرح زوجي جورج لو بقيت ليزا معنا. وهكذا، يمكنك طمأنته شخصياً عن خالتك!

بعد مرور ساعة عند آل لويس، رافق ساندي ليزا حتى سيارتها، والطقس ممطر. فاستفادت ليزا من هذه المرافقة القصيرة لتستوضح منه بعض الأمور التي دفعتها لزيارته اليوم:

- ساندي، يمكنك الجلوس معي في السيارة لبضع دقائق. أود محادثتك لبرهة.

صعد ساندي الى السيارة وجلس بالقرب من ليزا:

- تثيرين فضولي، يا ليزا! ماذا تريدين ان تعرفي بعد؟
- لماذا غادرت مارجوري، ابنة السيد موريسون، اردمونت؟ ولماذا يكره والدها فرايزر لامون الى هذا الحد؟

أجاب ساندي بجدية:

- اهنئك، يا ليزا، لفطنتك! عوضاً عن استقصائك الاخبار من احدى النسوة في اردمونت، فضلت طرح الاسئلة عليّ ومباشرة. في الواقع، تدور حول هذا الموضوع الكثير من الأقاويل، وما أكثر الثرثارين عندما تقع حادثة في القرية، فتكثر على الفور التكهنات والافتراضات. فمارجوري لم تترك مناسبة الا واستغلتها ضد فرايزر. كل ما في الأمر انه لدى عودة فرايزر من تازمانيا كان ابنه جوني لا يزال طفلاً رضيعاً وكان من الطبيعي ان يسعى لتدبير مربية تهتم بطفله نظراً لانشغاله خارج المنزل طوال النهار. فشاءت الظروف ان تستلم مارجوري هذه الوظيفة لانها كانت قد تركت المدرسة ولم تجد عملا بعد، فطلبت السيدة موريسون من فرايزر ان يقبل بها مربية عنده

فسألته ليزا على الفور:

- وهل وافق؟
- اجل، لكنه ما لبث ان طردها بعد مرور ثلاثة اشهر على توظيفها وأوكل مهمة الاعتناء بابنه الى امرأة عجوز.
- لماذا؟
- لا أحد يعرف بالضبط ما هي الاسباب التي دفعته الى طردها، ففرايزر لا يبوح باسراره الى أحد.
- وماذا فعلت مارجوري في هذه الاثناء؟

- لدى سماع والدها بنبأ طرد ابنته اتجه على الفور الى منزل فرايزر ليستوضح الأمر، لكنه عاد خائر القوى، تعباً كأن فرايزر لم يرحمه بل ندّد بتصرّفات ابنته الشاذة. وبعد هذه الحادثة، نشرت مارجوري الخبر في اردمونت زاعمة ان فرايزر حاول التحرّش بها فصدته ولهذا السبب اقدم على طردها من وظيفتها.
- وبالطبع لم تصدق انت اكاذيب مارجوري؟
- طبعاً لم اصدقها، لو كنت تعرفين مارجوري والسيد فرايزر لامون لكان رأيك مطابقاً لرأيي تماماً.

لم تصادف ليزا حتى الآن السيد فرايزر لامون والد جوني الذي حدثها على المركب. ما تعرفه عنه ليس سوى آراء متضاربة، تختلف باختلاف الاشخاص. فرأي خالتها السيدة مود روي يناقض رأي ساندي لويس وهذا الأمر زادها فضولا ورغبة في التعرّف اليه. فاخذت تتخيّله، هل هو قاسي الملامح؟ قوي البنية؟ متسلط؟ لا يأبه بآراء الآخرين به، يشقّ طريقه بدون ان يكترث بأحد؟

وذات يوم بعد مرور عيدي الميلاد ورأس السنة، بينما كانت تنزه كلاب خالتها مود، لفت انتباهها عراك محتوم بين صبيّين يتصارعان على الشاطىء. وأخذ الكلبان يعويان على الفور ويحاولان الافلات من رسنيهما. فاقتربت ليزا مع كلبيها وهما في حالة هياج شديد، نحو الشاطىء فبان لها عن قرب ثلاثة صبية يتعاركون، اثنان منهما يزاحمان الثالث الاصغر سناً فيما بينهم وهو يتخبط أرضاً محاولا عبثاً الافلات منهما، وهما ينحنيان عليه ويسددان له الضربة تلو الأخرى. فهرعت ليزا نحوهم، فما كان من الصبيين الاكبر سناً الا ان لاذا بالفرار، فاقتربت من الثالث الذي ما زال ارضاً ولا يقوى على الحراك. وكم كانت دهشتها كبيرة لدى تعرفها الى جوني لامون فساعدته على الوقوف واخذت تمسح عن وجهه الرمال التي امتزجت بالعرق المتصبب من جبينه، وبانت لها البقع الزرقاء والخدش حول عنقه وعلى خديه. فآلمتها حالته وقالت له وهي تحاول ان تتمالك نفسها من الغيظ:

- من هما هذان الصبيان اللذان اشبعاك ضرباً؟

أجابها جوني بعناء:

- دوغلاس بيتغرو وجيمي فوكس.
- ولماذا اعتديا عليك؟
- أنا الذي اعتديت عليهما، كانا يقولان كلاماً بذيئاً عن أبي.
- لكنهما يكبرانك سناً وحجماً ولا يمكنك التغلب عليهما.
- أعرف ذلك، لكن هذا لم يمنعني من تلقينهما درساً قاسياً، لئلا يذيعا بعد اليوم كلاماً كاذباً يضرّ بأبي.

وبدأ جوني فجأة بالبكاء وهو يحاول اخفاء وجهه بيديه الوسختين من جراء العراك.

شعرت ليزا بألم كبير يحتلها ولم تستطع الا تهدئة خاطره والتخفيف عنه فمسحت له دموعه بمنديلها ورافقته حتى منزله. فقال لها جوني وهما يتجهان ناحية المنزل:
- بالتأكيد وكالعادة والدي غائب عن البيت.

وأشار باصبعه الى الفيلا الفخمة والفسيحة بجوار مصنع السفن، واضاف جوني بحرارة:
- اسمي جوني وانت يا آنسة ما اسمك؟
- اسمي ليزا.
- اعتقد ان ابي في مكتبه أو في احدى العنابر حول المنزل... سيغضب كثيراً عندما يرى انني تعاركت. هل يزعجك لو امسكت بيدك؟

فضغطت ليزا على يد جوني بلطف وقالت:
- لا تزعجني ابداً!

وفكرت باللهجة القاسية التي ستواجه بها السيد فرايزر لامون، فهي ستلومه على الطريقة التي يعامل بها ابنه. وبينما كانت تتجه بمعية جوني نحو الفيللا، لاحظت في الحوض سفناً في عنبر خاص يحميها من المطر في فصل الشتاء. ووصلا أخيراً أمام بناء خشبي حديث ففتح جوني الباب ودخلا. على الجدران امتدت خرائط كثيرة ومختلفة لهياكل سفن، اخذت ليزا تمعن النظر فيها، حتى اطلّت عليها امرأة في الاربعين من عمرها تعمل وراء مكتبها على الآلة الكاتبة، ولدى سماعها خطوات في الداخل، رفعت رأسها نحو الصوت ودهشت وهي تنظر الى جوني:
- عراك جديد أليس كذلك؟

اسرعت ليزا وأجابت بلهجة متعالية:
- تعارك مع احد صبيان الحيّ ورافقته الى هنا، هل يمكنني مقابلة السيد لامون؟

تغيرت على الفور لهجة السكرتيرة وقالت بقسوة:
- السيد لامون مرتبط بموعد عمل هام، لا يمكنني التدخل فوراً. اتركي جوني هنا سوف اتولى امره شخصياً!
- ما سأقوله للسيد لامون مهمّ بقدر اهمية الاجتماع الذي يربطه باحدهم الآن!

فجأة علا صوت خلفها وهي تواجه السكرتيرة. صوت ملؤه جاذبية مصحوباً بابتسامة خفيفة:
- جانين! أرجوك استقبلي الآنسة سميث في مكتب آخر سأوافيها بعد دقائق!

واستدارت ليزا لترى مصدر الصوت وصاحبه فلم تفلح اذ اختفى بسرعة وراء الباب الذي اطلّ منه، ورأت من نافذة الغرفة التي تقف فيها رجلا يبتعد ويتجه الى سيارة فخمة ويتحدث الى سائقها مودعاً. فسارع جوني وقال لها هامساً:
- من المستحسن ان نلبي مشيئة ابي.

وأضافت السكرتيرة جانين بتعجرف وهي تتصنع الابتسامة:
- تفضلي آنسة سميث المكتب الآخر في هذا الاتجاه.

دخلت ليزا الى المكتب وهي تفكر بالخطوة الجنونية التي اقدمت عليها. لماذا رافقت جوني الى منزله والحت على البقاء لمواجهة والده السيد لامون؟ لم تقدم يوماً على عمل كهذا، وها هي الآن أمام وضع حرج. فمن الظاهر ان السيد لامون عرفها وخاطبها باسمها اي بدون ان يرى وجهها. دخوله الى القاعة بهذه الطريقة احرجها خاصة انه لم يوجه اليها الكلام مباشرة.

ولفرط تفكيرها بما جرى في هذه اللحظات كادت ان تنسى جوني، الذي افلت يده منها وبدأ يلهو بنماذج السفن الصغيرة، كأنه نسي ما جرى له.

وفجأة فتح الباب وخيّل اليها للحظات انها فقدت صوتها وبدأ شعور بالدهشة وبالتعجب يتغلغل فيها ليحلّ محلّ غيظها وعدائيتها. ها هو

فرايزر لامون واقف امامها الآن وجهاً لوجه. كل ما بنته عنه في مخيلتها يعاكس تماماً شخصه. فهو ليس بهذا الرجل المتسلط المتغطرس ملامح وجهه تدلّ على الطرافة يخفيها وراء مظهر قاس. وهو لا يزال في لباس العمل وهندامه هذا يظهر قوة وصلابة جسمه. قامته متوسطة لكنه يفوقها كثيراً في الطول وعمره لا يزيد عن الثلاثين عاماً. اتكأ على مقبض الباب وسألها بصوت فرح وهو ينظر اليها بعينيه الزرقاوين:

- آنسة سميث هل استطيع ان اخدمك بشيء؟

وقبل ان تجاوبه ليزا، لمح جوني واسرع اليه وحمله بين ذراعيه ليتفحص رأسه.

- اراك قمت بعمل جيّد! ماذا جرى لك؟

- ضربني دوك، تعاركت معه!

وحاول جوني الامتناع عن البكاء فتدخلت ليزا فوراً لتنقذ الموقف:

- تقاتل جوني وحده ضد اثنين يكبرانه سناً وكان يحاول أحدهما ان يرطم رأسه بشدة على الصخر... لكنهما لاذا بالفرار فور وصولي.

امتقع وجه فرايزر ونظر اليها باكتئاب:

- آنسة ليزا لماذا تدخلت في عراك جوني؟

وعادت اليها موجة الغضب. وما عليها الآن الا ان تجيب برباطة جأش فقالت ببرودة:

- كان علي ان اتدخل لئلا يتعرض جوني للأذى!

لم يعلق فرايزر على كلامها بل وجه سؤالا آخر الى جوني:

- من الذي افتعل العراك؟

أجابه جوني مرتجفاً:

- أنا الذي بدأت، كانا يقولان كلاماً بذيئاً عنك فلكمت احدهما.

انفرجت اسارير فرايزر وقال بهدوء:

- في دفاعك عني انت تقف موقفاً شجاعاً، لكن اسمع نصيحتي ولا تعرّض نفسك بعد اليوم الى أي قتال ان لم تكن انت الاقوى... اللذين تعاركت معهما اليوم يفوقانك قوة وكان بامكانهما الحاق الاذى بك. لا تعيد الكرّة! هيّا اذهب الآن الى المنزل واطلب من السيدة دوبي ان تعدّ لك حماماً انت بأمس الحاجة اليه... هيا... هيا!

انفجر جوني باكياً واحتلّ ليزا شعور بالنفور وغاب عنها وجهه الوسيم اللطيف وبدا لها سمجاً، فقال جوني باكياً:

- لا أريد ان أعود الى البيت... أريد أن ابقى مع ليزا فهي الطف من السيدة دوبي.

فصاح به فرايزر مؤنباً:

- هذا غير صحيح! مدام دوبي لطيفة هي أيضاً!

- اكرهها! اكرهها! عندما تكون غائباً عن المنزل لا تكف عن توبيخي.

صاح به فرايزر من جديد بصرامة:

- هيّا عد الى المنزل الآن! فانا لا أصدق ما تقوله! هيّا اذهب!

تردد جوني قليلا في الخروج واستدار الى ليزا وهو يتجه نحو الباب بينما هي لم تفارقه للحظة بنظراتها الحنونة، وكان هو أيضاً يبادلها النظرات نفسها، كأنه يدعوها للقاء آخر. هذه المواجهة مع والده احرجت موقفه، فهي لا تستطيع الدفاع عنه ومخالفة أوامر فرايزر الذي يبدو قاسياً. اكتفت في الوقت الحاضر بابتسامة عريضة وقالت له:

- هيّا جوني اذهب الآن، سنلتقي قريباً، اليوم بعد الظهر ان شئت، سأخرج لنزهة مع الكلاب.

ابتسم جوني بفرح وتوقف عن البكاء:

- هل يمكنني مرافقتك؟

- بكل سرور، متى تشاء!

فصاح فرايزر مقاطعاً:

- جوني، عد الى المنزل.

خرج جوني راكضاً وهو يحاول الالتفات ناحية ليزا مرة أخيرة. بغتة وجه اليها فرايزر الكلام:

- شكراً لتدخلك آنسة ليزا، لكن ارى انه من واجبي ان القن جوني درساً، اريده ان يتكل على نفسه، كما اريده ان يعرف أيضاً متى يرفض العراك.

ادركت ليزا انه فخور بما حدث فيكفيها ان تنظر الى عينيه لترى مدى شعوره بالاعتزاز، هذا الامر زادها اقتناعاً بالنفور الذي يسود علاقة السيد لامون بخالتها السيدة مود روي. لكنها لم تفهم لماذا على صبيّ صغير تحمّل

نتائج هذا الشعور بالفخر. فوجّهت اليه الكلام بشيء من اللؤم الرصين:
- افهم من كلامك سيد لامون انه عليّ في المرة المقبلة ان اكمل طريقي ولا أتدخل لافسح مجالا لجوني للدفاع عن اسمك وشهرتك. لكن اسمح لي ان أضيف انك نسيت امراً مهماً: ابنك جوني ما كان يعرّض نفسه للأذى لو شعر ان هنالك من يعتني به... أما اذا كان باعتقادك انه بوسعه العراك بمفرده وينجح فانت مخطىء... فجوني لا يشبهك.

لم تتمالك ليزا نفسها لشدة شعورها بالغضب وبالاشمئزاز ولم تدرك ما قالته الا عندما رأت رد فعل فرايزر الذي كتف يديه بغضب مشحون واتكأ على الجدار وقال بصوت بعيد:
- انت تعرفينني اذن لهذه الدرجة وهذه أول مرة تتقابل فيها؟

شعرت ليزا بالخجل وحاولت عدم اظهار ذلك. الواقع انها بنت صورة لشخصيته انطلاقاً من الشائعات التي تحاك حوله، لكنها لم تقبل الاعتراف بذلك فصمدت وواجهته قائلة:
- أجل! هذه أول مرة نتقابل فيها ومع ذلك ناديتني باسمي سيد لامون فور دخولك الى المكتب.

اجابها ضاحكاً:
- رأيت كلبيك في الخارج... هل نسيت انك تركت كلبيك خارجاً؟ في القرى الصغيرة عادة، تتسرب الاخبار بسرعة البرق... سمعت عنك يا آنسة ليزا كما سمعت عني... لكن من الظاهر انك متأثرة بآراء خالتك السيدة مود!
- كثيرون غير خالتي يوجهون اليك النقد!

قطب فرايزر جبينه وقال فجأة محاولا ان ينتقل الى موضوع آخر:
- كم ستطول اقامتك في اردمونت؟
- ريثما تتحسن حالة خالتي الصحية.
- لا تتفاءلي بالخير بشأن خالتك فهي تشرف على الموت!
- وما ادراك بصحة خالتي؟

سألته ليزا بصوت متقطع وهي تحدق في عينيه، ففاجأتها صراحته اذ اجاب بصوت طبيعي:
- ألم يصارحك أحد بعد بالحقيقة؟ الكل في اردمونت يعلم ما أصارحك

به وعلى ما يبدو انك لم تقابلي بعد الدكتور كلارك.
- لا لم اره بعد، من الضروري ان يمرّ بنا غداً.
- اذن، اقبلي مني هذه النصيحة وطالبي الدكتور بالحقيقة، من الأفضل ان تعلمي حقيقة الامر حتى لو صدمك الواقع فالحقيقة تؤلم احياناً ولهذا يمتنع الناس عنها.

وأضاف ببرود:
- ما هو سبب قدومك في هذا الوقت ولم يحن بعد موعد الاجازة؟

الا يكفيه ما قاله حتى الآن، وهو لا يعطي أية قيمة لشعورها بخطورة ما عرفته عن حالة خالتها الصحية. كل ما يهمه هو متابعة الحديث من أجل الحصول على مزيد من المعلومات. كتمت مرّة ثانية شعورها بالغضب واجابته بلهجة عادية:
- كما سبق وقلت لك يا سيد لامون اتيت الى اردمونت تلبية لدعوة خالتي. سمحت لي الظروف بالمجيء لأنني وجدت نفسي غير مرتبطة بعمل. واذكرك ان خالتي ارسلت بطلبي لأنني القريبة الوحيدة الباقية لها!
- كيف ذلك وانت تحملين اسم ليزا سميث وليس اسم ليزا روي؟
- اسمي ليزا روي - سميث، فالسيدة مود روي هي خالتي، اي ان والدتي تنتمي لعائلة روي ولقد عاشت سابقاً في المنزل نفسه الذي تقطنه خالتي اليوم.
- آه تذكرت! والدتك كانت ذات شعر احمر مثلك تماماً فانت تشبهينها!
- شعري ليس أحمر!
- انت تميلين الى اللون البصلي... الا تعرفين ان روي بالاسكتلندية تعني «الأصهب»... اي احمر الشعر، لماذا لم ترافقك والدتك؟
- مضى على وفاتها وقتاً طويل...
- فهمت!

وأضاف ببرود:
- اذن انت الوريثة الوحيدة بعد وفاة خالتك؟ ولهذا السبب أتيت الى اردمونت.

انفجرت ليزا وقالت بغضب:
- لم اكن أعلم قبل المجيء الى منزلك سيد لامون ان حالة خالتي

الصحية تدعو للقلق. . . ولست ادري لماذا عليّ ان اجيب على اسئلتك الوقحة. . . لكن أريدك ان تعلم ان سبب قدومي الى اردمونت هو فقط للوقوف الى جانب خالتي.

فقاطعها لامون ساخراً:

- هذا موقف شريف ونبيل!
- انت لا تفكر بالآخرين الا تفكيراً سيئاً!
- نادراً ما يحصل لي العكس! علمتني الحياة ان العاطفة مضيعة للوقت.
- اذن الانانية هي سيدة افكارك وتسيّر كل أعمالك؟
- اذا شئت ذلك فليكن!

تخيّل لليزا انها رأت في عينيه نظرة هازئة لكنها سرعان ما ادركت انها اخطأت وأضافت:

- أفهم من كلامك انك مستعد لأي شيء من أجل الحصول على ما تريده.

فتأملها لامون جيداً قبل ان يجيبها، وتمتم قائلا بدون ان يغيب نظره عنها:

- نعم مستعد لأي شيء!

ولأول مرة شعرت ليزا بحرج شديد كأنها وقعت في فخ فارادت الافلات منه والهروب الى الهواء الطلق:

- لا اتعجّب الآن بعد مواجهتك يا سيد لامون من سوء علاقتك بخالتي مود - واتجهت نحو الباب وهي ترتدي قفازيها وشالها وقبل ان تخرج اعلنت بوضوح:
- سيد لامون اعتقد انه لم يبق لدينا ما نقوله، اسعدت مساء.
- أنا لديّ ما أقوله لك يا آنسة سميث قبل انصرافك. . . اتمنى لو تعدلي عن اقتراحك في اصطحاب جوني للنزهة. لا تنسي أننا في قرية صغيرة والاقاويل هنا تنمو بسرعة وأنا في الواقع بغنى عنها.

فتأملته ليزا عن قرب وبان لها جرح ظاهر في صدغيه فقالت له بهدوء بالغ:

- لا افهم ماذا تقصد يا سيد لامون؟
- بخروجك مع جوني للنزهة ستفتحين مجالا للأقاويل الغادرة بالتكهن

ان علاقتك مع جوني ليست سوى حافز تبغين من خلاله التوصل الى وضع آخر. . .

فسألت بخجل:

- افهم من ذلك ان أهل القرية سيتهمونني بأنني اقيم علاقة سريّة مع والد جوني؟
- اجل. وخاصة انك ما زلت في سن الشباب. . . لو كنت في العقد الرابع او الخامس لما تغيّر شيء. . .

وأضاف بضحكة شيطانية:

- وانك على قدر لا بأس به من الجمال بالرغم من لون شعرك الأحمر!

كانت كلمات لامون كافية لاشعال غضبها من جديد. وعادت اليها تفاصيل الجلسة الأخيرة مع ساندي حين كلمها عن علاقة مارجوري موريسون بلامون. فادركت على الفور انه يلمح لهذه الرواية، باحثاً ربما عن وجه الشبه بينها وبين تلك الفتاة الطائشة التي وقعت في حب سيدها.

فاتقدت نيران الغيظ في عينيها وقالت بقساوة:

- انت بهذه الطريقة تحرم ابنك جوني من الصداقة. . .
- انت هنا آنسة سميث منذ أسابيع فقط ولم يسمح لك الوقت بعد لاكتشاف حقيقة بعض الأمور في اردمونت. لذا اكرر عليك طلبي. . . ابتعدي عن ابني جوني. . . لا اريد ان يلومني احد في المستقبل لأني كنت السبب في تشويه سمعتك.

ورنّ جرس الهاتف في هذه اللحظة فرافقها حتى الباب وعاد أدراجه الى المكتب وسمعته يقول وهو يتحدث على الهاتف:

- سارة! هذا انت؟ صباح الخير! كنت انتظر مخابرتك. . . سأكون في لندن في فترة رأس السنة، بلّغي والدك هذا الخبر. . . يمكننا ان نلتقي. . .

وفي هذه الاثناء دوى باب المكتب خلف ليزا الذي يبدو ان لامون رفسه برجله من الداخل ولم تعد تسمع شيئاً.

وابتعدت والاحمرار يغلف خديها وتساءلت: هل يا ترى سمعت السكرتيرة التي تعمل في المكتب المجاور حوارها معه؟

فور عودتها علمت ان السيدة مود تعرضت لنوبة قلبية خفيفة. فأسرعت بطلب الطبيب بعد ان ساعدت خالتها على ملازمة الفراش. وكم كانت

دهشتها كبيرة عندما صارحها الطبيب بحالة مود الخطيرة مؤكداً بذلك ما قاله فرايزر لامون... فلم يبق للسيدة العجوز سوى أيام معدودة وهي تشرف حقاً على الموت... ولقد اخفت ذلك عنها، فمود تعلم بوضعها الصحي المتدهور... كم هي كبيرة هذه السيدة وصلبة! انها تضعف تدريجياً وعليها ملازمة فراشها بصورة متواصلة ولو تحسنت.

وأضاف الطبيب قبل ان يغادرها:

- ساضع ممرضة في خدمتها.

وفي اليوم التالي وصلت الممرضة التي وعد بها الطبيب، امرأة شابة ظريفة سمينة بعض الشيء هادئة وبشوشة بالرغم من تراكم ساعات عملها في هذه المنطقة النائية. فشعرت ليزا بالعزاء لوجودها الى جانب خالتها في هذه المرحلة الحساسة ووعدت نفسها بالمكوث في اردمونت طالما ان السيدة العجوز بحاجة الى خدماتها.

٣ - بداية التحدي

اتصل ساندي بليزا في عيد رأس السنة مطمئناً عن حال السيدة مود وسرّ لمعرفته ان ليزا ستبقى في اردمونت فترة اطول ودعته لتناول كوباً من الشاي:

- لحسن حظ خالتك انك تركت عملك السابق وأتيت لتستقري في اردمونت قليلاً ويمكنني ان اضيف انه من حسن حظي ايضاً انك اتخذت هذا القرار.

- ماذا تقصد يا ساندي؟

تصرفات ساندي المترددة والخجولة كانت تثير غضب ليزا فهو يعاملها كأنها من مادة البورسلين ويخاف عليها ان تنكسر. ارادت من سؤالها هذا ان تبعث فيه الجرأة كي يكون اكثر وضوحاً. فشعر بالحرج من سؤالها وتمتم قائلاً:

- اعني... ارجوك لا تظني انني ارغمك على البقاء... طبعاً يمكنك ان ترفضي.

- ساندي! انت تلف وتدور حول موضوع ما... كيف تريدني ان اقبل او ارفض قبل ان اعرف ما بودك ان تقول؟

- ما اريد قوله انني بحاجة ماسة اليك.

- هكذا... وبهذه السرعة؟!

- لا تسيئي الظن! في الواقع أنا بحاجة لمواهبك كمصممة ازياء ولذوقك في تنسيق الألوان، الثوب الذي صممته من قماش التويد الذي اهدتك اياه والدتي كان رائعاً! ما رأيك لو نعمل معاً؟ انت ترسمين لنا وتصممين

الأزياء ونحن نصوّرها وننشرها في مجلات الموضة. بهذه الطريقة نكون قد حصلنا على الدعاية التي نحن بأمس الحاجة اليها وربما تضاعف مبيعنا!

- هل طلبت من سارة ان تعرض لكم بعض الموديلات؟
- لا لم اكلمها بعد!
- لماذا؟

تردد ساندي وقال وهو يشيح بنظره عنها:

- لا اظن انها سترضى... اعني ستوافق على مساعدتنا...
- ساندي! اظن انك لا تريد ان تقترح عليها مشروع العمل هذا... الا تحبها؟

فوجىء ساندي بسؤال ليزا وقام على الفور من مقعده ووضع كوب الشاي جانباً وقال بصوت ملجوم:

- لا اجد مبرراً لحديثنا عن سارة ولا علاقة لها بالعرض الذي اقترحه عليك، هل تقبلين مشاركتي في العمل؟
- لا مانع عندي وهذا العمل يستهويني كثيراً، لكن يا ساندي ارجوك افهمني، ان لم ننشر الموديلات التي سأصممها في صحف ومجلات الموضة فعملنا لن يلقى صدى ولن نجني ثمراً. والدتك حدثتني في هذا الموضوع وهي التي اقترحت عليّ فكرة عرض النماذج ونشرها، واعتقد ان سارة هي الشخص الذي يلزمنا.

اشاح ساندي بوجهه وتقدم نحو النافذة وشعرت ليزا في هذه اللحظة انه حزين ومتوتر فقالت بهدوء:

- اظن ان سارة الآن بصحبة فرايزر في لندن.

فأدار ساندي وجهه نحوها واقترب منها بخطى سريعة:

- من اين اتيت بهذا الخبر؟
- سمعت فرايزر يكلمها على الهاتف عندما زرته في مكتبه.
- ولماذا زرته في مكتبه؟
- رافقت ابنه جوني حتى البيت بعدما انقذته من عراك وقع بينه وبين صبيان في الحي.
- وبالطبع، لم تخف عنه شعورك بالمضايقة من تصرفاته اللامبالية تجاه

ابنه.

- كيف عرفت؟
- التقيت بفرايزر قبل سفره الى لندن لحضور معرض للسفن، لقد اصطحب معه ابنه جوني لأن السيدة دوبي تركت وظيفتها بعدما اخذت نصيبها من الرفسات واللطمات التي انهال بها عليها جوني في المرة الأخيرة عندما حاولت كعادتها الاعتناء به.
- وماذا سيفعل هذا الولد المسكين في معرض للسفن؟
- سيضجر أو سيفتعل حماقات، ارجو ان تهتم به سارة كما يجب.
- كان بامكاني الاحتفاظ به طوال مدة غياب والده لئلا يضطر الى تعطيل مدرسته.

فابتسم ساندي معلقاً:

- لن يروق لخالتك مود استقبال ابن عدو لدود لها!

فأجابت ليزا بانفعال:

- لم يجد السيد لامون في اردمونت من يهتم بابنه جوني في غيابه؟ لا افهم هذا الوضع المعقد! وماذا بشأن والدتك يا ساندي هل هي على علاقة طيبة معه؟
- امي تحترمه كثيراً وتقدره لكن ابي يخالفها في الراي منذ وقوع حادثة مارجوري موريسون، ثم فرايزر يتجنب طلب المساعدة من احد. لو يتزوج لهانت جميع مشاكله.
- من المعقول ان يتزوج سارة... هل تغار منه لأنه سيقابلها في لندن؟
- لا! هذا الأمر لا يزعجني ابداً، يسرني ان تجد سارة السعادة مع فرايزر او مع سواه.

فتجرأت ليزا وسألت من جديد:

- من الظاهر انك تحبها؟
- احببتها فيما مضى وشئت ان تكون لي زوجة، لكنها فضلت السفر الى لندن كي تصبح عارضة ازياء ولم يكن بمقدوري ان اقدم لها شيئاً بديلاً!
- في اي حال ان لم تطلب منها انت مساعدتنا في مشروعنا الجديد سأتولى هذا الأمر بنفسي، لسارة علاقات هامة بوسعنا الافادة منها، متى ستعود من لندن؟
- قريباً. لا يهمها كثيراً معرض السفن!

فتمتمت ليزا:
- الا اذا شاءت ان تفتن رجلاً!
كان شهر كانون الثاني (ديسمبر) هذه السنة لطيفاً فسنى للخالة مود النهوض من فراشها قليلاً مما زادها عافية ونشاطاً، ولم يغب عنها شيء من امور جرت وتجري من حولها، بل بالعكس، كانت تقف قرب نافذتها كلما سمحت لها حالتها الصحية حيث تراقب ما يحدث في الخارج. وفي هذا اليوم كانت منشرحة ومتعافية فجلست الى نافذتها كالعادة وما لبثت ان نادت ليزا بفرح داخلي:
- ليزا! تعالي وانظري . . . يبدو ان السيد لامون لم يباشر بورشة البناء، اظنه لم يحصل بعد على رخصة بناء أو نفدت امواله.
- لا اعتقد ذلك! انه مشغول الآن بتجهيز مناقصة سفن حصل عليها في لندن.
- ومن اين لك هذه المعلومات؟
- من جوني، التقيت به لدى خروجه من المدرسة.
- وهل والده موافق على ذلك؟
- اعتقد انه يجهل انني التقي بجوني.
- لكن جوني يعرف تماماً ان والده منعه من الخروج معك وأنت بهذه الطريقة تدفعين الصبي الى الكذب.
- لا اجد مانعاً من خروج جوني معي للنزهة فهو بحاجة للرفقة. هذا الصبي حساس للغاية وذكي وبودي ان اعرّفه اليك يوماً، ليعلم انك لست شريرة الى هذا الحد الذي يتصوره.
فضحكت مود وقالت بانشراح:
- لماذا يعتقد انني شريرة؟
- لانه يظن انك اقنعت جورج موريسون بالعدول عن فكرة بيع الفيلا.
فتعجبت مود وسألت:
- من الذي اوحى اليه بهذا؟
- سمع والده مرة يقول لجورج موريسون انه متأثر بمواقفك ولهذا السبب يرفض عرضه لشراء «فيلا الشروق». . . ماذا قلت بالضبط لجورج موريسون؟

اجابت مود بلهجة واثقة من نفسها:
- قلت له انه لو تجرأ وباع الفيلا لفرايزر لامون لاخبرت الجميع في اردمونت ان ابنته كاذبة ولصة.
- لصة؟ كيف يمكنك اثبات ذلك؟
- طبعاً يمكنني اثبات ذلك! كانت مارجوري تنظف لي المنزل في الماضي فافتقدت بعض الحاجيات كما فقدت بعض النقود، فكلمت والدها الذي استجوبها لكنها نفت التهمة.
- اذن فأنت تعرفين ان من عادة مارجوري الكذب، وهل تصدقين ما اشاعته عن فرايزر؟
- لا اصدق شيئاً مما اشاعته. . . صحيح اني لا احب فرايزر لكن هذا لا يمنع ان يكون رجلاً نزيهاً وصريحاً.
ما قالته مود اراح ليزا لأنها شعرت ان فرايزر اوحى اليها بالثقة في المرة الاولى عندما قابلته بالرغم من انجرافها قليلاً مع مواقف خالتها، فقالت مازحة:
- والله. . . ما ظننت يوماً انه بامكانك اللجوء الى الابتزاز!
انزعجت مود وأجابت بسرعة اعتراضية:
- انا لا امنعه من بيع الفيلا لشخص آخر!
ثم اكملت، وهي تنتقل الى موضوع جديد:
- هل وصلتك اخبار من والدك؟
- نعم. انه مستعد للمجيء عندما تسمح له اشغاله.
- آه، انا اعرفه جيداً. سيطلعنا عن مجيئه ساعات قليلة قبل وصوله!
ثم تأملت العجوز اقتراب الشمس من صفحة الماء، وأضافت فجأة:
- اود ان اتعرف الى هذا الصبي. لقد فقد امه وجدّته ايضاً فارقت الحياة. ليأت غداً!
في اليوم التالي، طلب جوني بنفسه لو يمكنه المجيء، فقالت له ليزا:
- بالتأكيد. خالتي راغبة بالتعرف اليك.
- صحيح؟
- وألف صحيح! واذا اعجبتها، ارتك الكنوز التي عندها!

- اية كنوز؟
- ذكريات وأشياء نادرة من الصين والهند واليابان.
- هل عندها العاب ايضاً؟
- نعم. لكن اياك ان تطيل الزيارة. خالتي عجوز تعبة، معرّضة دائماً للمرض. ثم لا تنسى ان السيدة التي تهتم بك قد ينشغل بالها وهي تنتظرك.

اجابها بجدية، وكأنه من الراشدين:
- لا مكان لها عندنا، لقد غادرتنا!
- حقاً. من الذي يهتم بشؤون البيت والطعام، اذن؟
- والدي، انه لطباخ ماهر، وأنا اساعده. تبقى مشكلة تنظيف البيت. منذ ايام، زارتنا سارة، لكنها لا تحسن الطهي. لا اظنها تستطيع ان تصبح اماً صالحة. الأمهات يعرفن تحضير الطعام.

ابتسمت ليزا في سرها. هذا الصبي الذي عمره سبع سنوات يعرف ما على المرأة من واجبات. واضح انه لم يتعلم هذا من والده، فهو يدير شؤونه بنفسه!

اول زيارة قام بها جوني لمود جرت بدون صدام. فأعاد الكرة في اليوم التالي، ثم نهار الاثنين، حتى اخذ يزورها كل يوم. كان يحدث الخالة مطولاً، ثم تريه كنوزها أو يلعبان الورق، حتى تشعر العجوز بالتعب، فيلحق جوني بليزا الى المطبخ. وتعطيه اقلاماً ملونة وأوراقاً كي يرسم ويلون بفرح وحماس.

كانت ليزا تجهل اذا كان فرايزر على علم بعلاقتها بجوني. لكنها ابت ان تسأل الصبي عن ذلك لئلا يفقد فرحه.

وذات يوم كانا يعملان بحماس كبير حتى انهما نسيا مرور الوقت. فجأة، ادركت ليزا تأخر الصبي عن ساعة عودته الى بيته. فهرعت معه الى حوض السفن، وهي مستعدة للدفاع عنه من غضب ابيه.

عند اقترابهما من المنزل، رأيا امرأة تغادر سيارتها بعدما اوقفتها في المرآب. شقراء جميلة، انيقة وممشوقة. تقدمت نحوهما، وهي تقول للصبي بصوت حاد ومزعج:
- ما هذا؟ انك متأخر جداً في العودة! والدك ذهب يفتش عنك!

- كنت عند ليزا والخالة مود اعطتني هذا الفيل الرائع! انظري!

قال هذا وهو يريها فيلاً صغيراً من العاج. تجاهلته المرأة، ونظرت الى ليزا، سائلة اياها بفضول:
- انت ليزا سميث؟
- نعم. وأنت الآنسة سارة، عارضة الأزياء، اليس كذلك؟

ضحكت الشقراء وهي تجيب:
- لو لم تعرفيني، لكنت غضبت جداً. السيدة لويس حدثتني عنك. يبدو انك مصممة ازياء... ينقصنا الوقت الآن للتكلم عن هذا الموضوع، لكني اود لو تصممي لي موديلاً خاصاً من قماش التويد المحلي. هل نتناول الغداء سوياً، نهار الجمعة؟

اجابت ليزا وهي تفكر بساندي:
- حسناً.

اضافت سارة:
- سيأتي فرايزر نهار الجمعة الى العشاء، لديه عمل يربطه بوالدي يتعلق بأمر تصليح اليخت، ربما استطاع مرافقتك... ها! ها هو قادم نحونا ستتدبرين الأمر معه.

نظرت ليزا الى فرايزر الذي كان يتجه صوبهم ، فأفلت جوني منها في هذه اللحظة وهرع نحو المنزل. اسرعت سارة بمخاطبته قائلة:
- لا تشغل بالك، كان جوني بين ايدٍ امينة... بضيافة السيدة مود روي.

وكأنه لم يسمع ما قالته سارة اكمل سيره متجهاً بعصبية نحو ليزا وبخطى واسعة وقال بحدة:
- الم اطلب منك، آنسة ليزا، ان تتركي هذا الولد وشأنه؟

اجابت ليزا بهدوء بالغ بدون ان تتأثر بلهجة فرايزر القاسية:
- طلب مني جوني التعرف الى خالتي مود ولبيّت طلبه. كان يأتي كل يوم بعد المدرسة، وكل شيء يسير على ما يرام بينه وبين خالتي، الا اننا اليوم نسينا موعد العودة الى البيت.

هدأ فرايزر قليلاً وأجاب متمتماً:
- انا الذي اوحيت له برغبة التعرف الى السيدة مود.

فاقتربت منهما سارة باستياء لأنها وقفت وحيدة جانباً وقالت لفرايزر:
- يجب ان اذهب الآن... الآنسة سميث قبلت دعوتي الى العشاء مساء الجمعة، هل يمكنك مرافقتها؟
اجاب فرايزر بصوت بارد:
- للآنسة ليزا سيارتها الخاصة ويمكنها ان تهتدي الى منزلك بمفردها!
لم تحرك ليزا ساكناً بالرغم من رغبتها الشديدة بوضع حد لوقاحته اما سارة فأجابت بلهجة لامبالية:
- كما تريد يا سيد فرايزر... ليزا يمكنك الاستفسار عن منزلي من خالتك، لا تبعد كريدون هول كثيراً من هنا... انا بانتظارك كما اتفقنا نهار الجمعة مساء. اتمنى ان اكون قد حصلت على قماش التويد... تصبحين على خير!
قبل ان تغادر سارة المكان، اضافت بصوت مغرٍ وهي تخاطب فرايزر:
- اظن انه ليس من الضروري ان انتظر منك مرافقتي حتى السيارة!
فوافق فرايزر بحدة:
- ليس من الضروري على الاطلاق!
اضافت سارة وهي تبتعد:
- من الواضح انه ينقصك الكثير من صفات الرجل الجنتلمان!
- لست بحاجة لمن يؤكد لي هذا.
وامتعض فرايزر وحاول انهاء حديثه مع سارة وأظهرت ليزا في هذه اللحظة رغبة بالرحيل فأمسك بها فرايزر قائلاً:
- لا ترحلي الآن، لدي ما اقوله لك لو تفضلت وقبلت دعوتي الى المنزل!
- هذا تصرف يخلو من الحكمة، سيد فرايزر، الا تظن ذلك؟ لو رآني احد ابناء القرية ادخل منزلك في هذه الساعة لجن جنونه!
- اريد ان استوضح منك آنسة ليزا بعض الأمور، لو رفضت دعوتي ساضطر لمعاقبة جوني بشدة.
- لا يحق لك سيد فرايزر معاقبة جوني بقسوة ولا اظنك ستجرؤ على ذلك!
- انسيت ان جوني ابني ويحق لي انا ودون سواي السهر عليه وعلى تربيته؟ الا يكفي انه كذب عليّ طوال هذه المدة، زاعماً انه كان يمضي فترة

ما بعد الظهر في المدرسة لنشاطات اضافية؟ بينما هو في الواقع بضيافة السيدة روي... اريد ان اعرف من علّمه اختلاق هذا النوع من الأكاذيب؟ ستقبلين دعوتي ام لا؟
- حسناً! حسناً يا سيد فرايزر، قبلت.
واتجها نحو منزل لامون، فلمحت ليزا سيارة سارة تبتعد وراء المنعطف واضافت بهدوء:
- ارجو الا تقسو على جوني... هنالك طرق كثيرة لمعاقبة ولد لا تتطلب قسوة ولا ضرباً!
- اعرف... اعرف... لكنني فقدت قدرتي على المثابرة بهذا الشكل... تفضلي.
وبينما هو يقفل الباب علا صوته في ارجاء المنزل منادياً جوني:
- جوني! جوني!... لا حاجة بك للاختباء... تفضل وأشرح لي ما جرى معك.
خلع سترته ورمى بها على المقعد وأضاف وهو يتجه الى المطبخ:
- سنجلس في المطبخ وسأحضر طعام العشاء. في هذه الأثناء تشرحين لي ما هي الأسباب التي دفعتك لاقناع جوني بزيارة خالتك مود؟
اجابت ليزا باحتجاج:
- لم احرضه على زيارتنا!
ورافقته حتى المطبخ حيث انهمك في تحضير طعام العشاء بينما جلست هي على كرسي تراقبه. بدا لها المطبخ في حالة لا بأس بها من الترتيب، لم تكن تتوقعها... وأخذت تراقبه بشغف كيف يضع غطاء المائدة ويحمل الأطباق، ويوزع الملاعق والشوك والسكاكين... لم ينس شيئاً بالفعل!
ابتسمت بهدوء وقالت له:
- نزلت عند رغبة جوني، فسمحت له بزيارة خالتي.
اجاب فرايزر بلهجة مشككة وهو يحضر قالباً من البيض المخفوق:
- جوني لا يطلب شيئاً من اشخاص لا تربطه بهم علاقة حميمة... فمن الظاهر انه وطّد علاقته بك!
- من هذه الناحية انه يشبهك كثيراً، لهذا السبب كان بامكانك الاتصال بي للاهتمام به طوال فترة غيابك في لندن، لكنك لم تفعل.

- انت سريعة الملاحظة يا آنسة ليزا، صحيح انني لا اطلب المساعدة من احد، خاصة اذا تعلق الأمر بجوني . . .

وأضاف فرايزر بتهكم :

- ماذا تقصدين من تشجيعك لجوني بزيارتكم؟

اجابت ليزا بغضب شديد:

- لا اقصد شيئاً يا سيد فرايزر، يؤسفني ان اقول لك انك من فئة الناس الأنانيين الذين يبررون كل الأعمال ويحللونها. . . وان كنت تريد ان تعرف السبب الحقيقي لاهتمامي بجوني فاعلم انني بكل وضوح وجدت هذا الصبي بحاجة ماسة الى عناية وأنت لا تهتم به بما فيه الكفاية!

قاطعها فرايزر بنظرة مشككة مما زاد توترها وانفعالها فأكملت قائلة بعصبية :

- انت لا تفهم حقيقة ما اعنيه، ظننت انه يمكنني مد يد المساعدة لجوني بهذه الطريقة، خاصة عندما اكتشفت انه فقد جدته ولا ينتظره احد في المنزل لدى عودته من المدرسة، زياراته لنا لا تزعجنا، بل بالعكس، خالتي مود ترتاح له وتعامله كحفيدها!

انهت ليزا كلامها من دون ان تعرف وقع ما قالته على فرايزر لأنه كان ما زال منهمكاً في تحضير العشاء، وفي وضعه هذا فهي لا ترى منه سوى كتفيه العريضتين وشعر رأسه المقصوص حديثاً. استدار على مهل واتجه الى المائدة فوضع الطبق بهدوء من دون ان يظهر عليه اي انفعال كأنه لم يسمع شيئاً على الاطلاق!

فجأة دخل عليهما جوني بخطى حذرة ووقف جانباً، فأسرعت ليزا لتسأل فرايزر من جديد علها تخفف من توتره قبل ان يرى جوني، فقالت له بأدب :

- سيد لامون، ما زلت انتظر منك تعليقاً على كلامي، اما دعوتني من اجل هذا التوضيح؟

لكن فرايزر لم يحرك ساكناً بل حافظ على موقفه اللامبالي مما اشعل في ليزا رغبة اقناعه بموقفه اللامبالي هذا، وبالتالي التشديد على اهماله لابنه فقالت بجرأة كافية :

- سيد لامون. هل فهمت ما هو سبب اهتمامي بجوني؟

كان سؤال ليزا هذه المرة محكماً فلم يستطع لامون التظاهر بعدم سماعه فأجاب :

- اخشى ان يتعلق بك جوني فيصعب عليه فيما بعد - اي عندما ترحلين من اردمونت - فراقك!

- لا انوي مغادرة اردمونت في الوقت القريب فخالتي مود ما زالت بحاجة اليّ وربما سأعمل في المصنع مع ساندي لويس.

في هذه اللحظة اقترب جوني من والده وهو ما زال يحمل الفيل الصغير بيده، فقال له وهو يشير الى الفيل، كأنه يحاول التخفيف من غيظ والده :

- السيدة مود اعطتني هذا الفيل. . .

وأضاف بلطف :

- السيدة مود لطيفة، ولم تكن على النحو الذي وصفته لي. . . اما زلت غاضباً من ليزا؟

بدت ابتسامة رقيقة على شفتي فرايزر لامون، لكنه اخفاها بسرعة وقال بلهجة قاسية :

- تصرفاتك في المدة الأخيرة اثارت غضبي وأنا مستاء منك جداً. . . كان عليك مصارحتي بالحقيقة بدلاً من لجوئك الى الكذب. . . جوني احذرك، فلن اصفح عنك بهذه السهولة في المرة المقبلة ان عاودت الكرة! اريد ان اعلم الى اين تذهب لئلا اضيّع وقتي في البحث عنك.

فأجابه جوني متمتماً:

- اجل . حاضر!

وأضاف بعصبية :

- هل يمكن لليزا تناول العشاء معنا؟

- هل هذا الأمر يفرحك؟

- نعم! ليزا طاهية ممتازة اعدت لي قالباً من الحلوى اليوم بعد الظهر!

اجاب فرايزر بجفاف :

- مضى وقت طويل ولم اذق طعم الحلوى. . . انا احسدك فأنت سعيد الحظ!

ثم سأل ليزا:

- هل تحبين مشاركتنا تناول العشاء ؟

تمنت ليزا في هذه اللحظة البقاء الى جانب جوني وقبول الدعوة، كما تمنت مشاركة فرايزر في تحضير العشاء ومرافقة جوني حتى فراشه كي تروي له حكاية حتى يخلد الى النوم. لكن هذا الشعور اقلقها فقالت بصوت خافت:

ـ شكراً لهذه الدعوة لكنني افضل العودة باكراً. ستقلق خالتي مود لغيابي.

ـ بالطبع! بالطبع!

اجابها فرايزر بلهجة ساخرة وأكمل:

ـ هذا تصرف لا تنقصه الحكمة.

ولم يتوقف عند معارضة جوني واحتجاجه على ذهاب ليزا بهذه السرعة، مما اوحى اليها انه ارتاح لعدم قبولها الدعوة فتملكها نوع من الحقد تجاهه بدون ان تفهم حقيقة هذا الشعور وسببه، فتدخل جوني من جديد محاولاً انقاذ الموقف:

ـ ايمكنني زيارة السيدة مود غداً؟ وعدتني بانها سوف تعلمني لعبة الدومينو!

صرخ به فرايزر معترضاً:

ـ كلا!

ـ ولأي سبب؟

ـ السيدة مود لا تحبني ولا اريد ان تكون مصدر ازعاج لها!

تدخلت ليزا بلهجة اعتراضية:

ـ جوني لا يزعج احداً يا سيد لامون!

ـ لن يدخل جوني بعد اليوم، منزل السيدة مود!

ادركت ليزا انه يتضايق من تدخلها في شؤونه الخاصة، فاتجهت نحو الباب الخارجي ورافقها حتى المدخل وهو يخاطب ابنه الذي بقي في الداخل:

ـ جوني انتبه لطبق البيض على النار سأرافق الآنسة سميث حتى المدخل.

اجابت ليزا معلقة بلهجة لامبالية:

ـ لا تعذب نفسك. صفات الرجل الجنتلمان ليست لك.

ـ حسناً! تدبري امرك بنفسك يا آنسة ليزا واذا حدث لك مكروه في الظلمة خارجاً، فأنت المسؤولة وأرجوك الاّ تعودي ادراجك شاكية.

اغلق الباب خلفها، وأحست ليزا بوقع كلامه اللاسع عليها، ففي الواقع، الظلمة حالكة وكثيفة في الخارج وتحجب الرؤية. وفهمت ما كان يعنيه فحاولت جاهدة هبوط السلم. انزلقت رجلها وارتطم كاحلها بالدرجة. فصرخت:

ـ تباً لكبريائي! هذا هو الثمن! في المرة المقبلة يا ليزا سميث لا ترفضي صفاته الحميدة!

وحاولت الوقوف، الاصابة كانت طفيفة وتذكرت كلام سارة عندما نعتته بالرجل الفظ، الخشن، فهو في الواقع لا يتودد للنساء ولا يعاملهن كأنهن مخلوقات ضعيفات، بل بالعكس يعامل المرأة على قدم المساواة، اسلوبه يخلو من الاطراء والمواربة ولا يتردد في استعمال القسوة احياناً. ربما هذه الناحية من شخصيته تشدها اليه فهي تراه من صنف الرجال النادرين الذين يعتمد اسلوبهم الصراحة والمواجهة الواضحة.

ولشدة انغماسها في اعادة صور ما جرى بينه وبينها هذا المساء، نسيت الألم الذي يوخز كاحلها. واخذت تمشي بعصبية كأنها تسابق الريح. فالطقس في الخارج يحمل صقيعاً يزيدها حيوية وحماساً. فلم تتوقف افكارها عن الدوران كقفير نحل وبدأت تشكك بالأسباب التي عرضها عليها عندما اوضحت سبب اهتمامها بجوني. فعلى ما يبدو يحاول ان يتجنبها ولهذا السبب كان جوابه قاطعاً وحازماً!

في اليوم التالي، لم يمح الليل ما حمله النهار، فمع بزوغ الفجر نهضت ليزا ورأسها مليء بضجيج الأمس. وبدأت يومها بزيارة لساندي في المصنع وأخبرته انها واجهت سارة البارحة. قالت ليزا:

ـ التقينا صدفة. ودعتني الى العشاء مساء الجمعة، وأظهرت رغبتها في التعاون معي فهي تريد ان ارسم لها موديلاً من قماش التويد الذي تصنعه انت، هه... ما رأيك يا ساندي. اراها فرصة مناسبة لنعرض عليها مشروع العمل سوياً من اجل النشرة الاعلامية!

فأجاب ساندي بهدوء مبالغ فيه:

ـ اتمنى لك النجاح! والدتي تعدّ لك قماشاً رائعاً، هل ترافقينني

الى المنزل؟

اختارت السيدة لويس لليزا اللون البنفسجي والقماش الذي تتخلله بعض الأزهار الناعمة الرقيقة. هذا اللون الذي يحمل الوان صباح الشتاء له عند ليزا صدى تحن اليه وتشتاقه!

امضت برفقة السيدة لويس فترة ما قبل الظهر ولدى مغادرتها للمنزل يرافقها ساندي لاحظت عند الباب فروتان، جذبها صوفهما الناعم وسألت ساندي بفضول:

- فروتان رائعتان، هلا تخصان احداً؟

- ابنة اختي شيللا طلبت مني سترة فحضّرت لها هاتين الفروتين.

اقترحت ليزا بحماس:

- يمكنني ان اصبغهما واجهّز السترة.

- حقاً؟ انت تصممين نماذج للفرو كما للتويد؟

- اجل وبمقدوري ايضاً ان اصبغ القطعتين معاً وارسم لهما الشكل المطابق!

بدا ساندي متحمساً للغاية فأسرع قائلاً:

- خذي هذه الفروة واخضعيها لتجاربك واطلعيني فيما بعد على النتائج!

عادت ليزا الى منزل خالتها ورأسها يضج بالمشاريع الجديدة. فمنذ وصولها الى اردمونت ومكوثها طوال هذه الفترة، لم تشعر بالغربة او بالانزعاج، بل بالعكس، حضورها هنا يريحها كثيراً لدرجة انها تكاد تعتقد انها ولدت في هذه الجزيرة وعاشت فيها. وكان ساندي احس بشعورها فقال لها يوماً انها اقدمت على خطوة سعيدة عندما استقالت من عملها السابق. فما كانت تريده ان يتحقق على صعيد مهنتها يحصل الآن بصورة طبيعية. لا احد يعاكسها ويقف حاجزاً بين حاجتها الى الابداع وبين تمسكها باستقلاليتها. انها اليوم تتمتع بلذة الانتاج كما يحلو لها. هذه الأجواء المريحة تدخل الفرح الى قلبها خاصة ان ساندي يدفعها للعمل، يزيدها حماساً ولا يعطله بل يترك الخيار لها في شتى الميادين، وفي جميع المواقف. وغافلها الوقت وهي في طريق العودة، فأحست بحاجة للاسراع كي يتسنى لها الجلوس مع خالتها قرب المدفأة والدردشة معها قليلاً قبل ان يسبقها النعاس. ولم يدم شعورها هذا بلذة تبادل اطراف الحديث اذ

فاجأتها الخالة مود بوجه شاحب قاتم، فسألتها بارتياب:

- ماذا جرى؟

كان قلبها يخفق كصنج يرن لخشيتها ان تكون مود قد تعرضت لنوبة قلبية ثانية، فانقذتها مود من قلقها المفاجىء وقالت وهي تشير بعصبية الى النافذة:

- انظري! انظري! ماذا يجري في الخارج!

اسرعت ليزا الى الشرفة، لاح لها في الجهة المقابلة لمنزل خالتها، عمال يفرغون حمولة شاحنة ويبدو انهم يستعدون لورشة بناء. فصرخت مود وهي ترفع عصاها عالياً:

- الم تلتقي بهم وأنت في طريقك الى هنا؟

- لم انتبه، كنت افكر بأشياء اخرى.

- ها هو فرايزر لامون يستعد للبناء، لقد حصل اخيراً على الاجازة!

اضافت مود بعصبية اقوى:

- اتصلت بسكرتيرته لأتأكد من شرعية اجازة البناء هذه، فلم اجده في مكتبه... يبدو انه اضطر للذهاب بصورة مستعجلة الى مدرسة ابنه جوني... وأنا بانتظار مخابرة منه!

- اهدأي يا خالتي ارجوك. ربما احتجزه احد لأمر خطير.

- ماذا؟ انت تدافعين عنه!

- لا ابداً! لا تخافي لن يتردد في المجيء فهو لا يخافك.

- نعم! لا يخافني. هذا هو سر قوته وتفاقم مصيبتي.

ولم تخف مود تذمرها الشديد من الوضع وتمنت ليزا لو يمضي الوقت بسرعة ويحضر بسرعة لترتاح من شر هذه المواجهة، فهي تخشى ان تتعرض خالتها لمكروه، لفرط عصبيتها وتوترها.

وبعد مرور ساعة من الوقت، قرع الباب بقوة، فهرعت ليزا الى المدخل: السيد فرايزر لامون عند الباب. وبلحظة القت نظرة سريعة عليه، فبدا لها غريب الأطوار في هندام العمل، دخل بخطى واسعة وهو يحمل بيده مظروفاً. لم يرد على التحية المسائية التي وجهتها اليه، واتجه تواً نحو الصالون وألقى التحية بصوت حميم:

- اسعدت مساء يا سيدة مود، كيف حالك اليوم؟

- كنت في احسن حال يا سيد لامون الى ان القيت نظرة الى الخارج من نافذتي . . . هل حصلت اخيراً على اجازة البناء؟

لم يجب السيد لامون على السؤال، بل اكتفى بتسليمها المظروف. استعجلت بفتحه ولم تمض ثوان حتى امتقع وجهها، فطوت الرسالة بسرعة وأبعدتها عنها بحركة هجومية صارخة في وجهه:

- ما يجري هنا في هذه القرية، يحيرني. فمن جهة يدعي المجلس البلدي بتطبيق قانون الحفاظ على البيئة، ومن جهة اخرى يسمحون لك ببناء مشغل على اراض تخص الأملاك العامة!

- المشغل الذي انا بصدد بنائه يا سيدة روي، ليس اكثر بشاعة عن مصنع اقمشة التويد الذي يحتل قسماً كبيراً من اراضي اردمونت، واسمحي لي ان اضيف وأوضح لك ان الأراضي التي ابغي البناء عليها لا تخص المجلس البلدي انما هي ملك اجدادي ولم يتطلب مني هذا الأمر جهداً خاصاً لاثبات حقي الشرعي في الملكية.

- لماذا لم يستغل اذن والدك أو جدك هذه الأرض في السابق؟

- لانهما لم يكونا في حاجة الى ذلك. كان يكفي لجدي في ذلك الوقت بيع سبع بواخر في السنة لتامين مدخول العائلة بصورة صحيحة، اما والدي، كما تعرفين يا سيدة روي فلقد اشرف على الافلاس في ايامه الأخيرة ولا اتمنى لنفسي مصيراً كمصيره.

وأضاف فرايزر بلهجة واثقة:

- نحن اليوم نعيش في عصر تغيرت فيه الحاجات وأساليب العمل. جدي ووالدي لم يرغبا في التوسع، اما انا فمضطر لمجاراة العصر وللتمشي مع السوق المحلي. في ايامنا هذه، صناعة اليخوت تشهد منافسة قوية، لذلك يجب علي التأقلم مع الوضع الجديد وبناء اليخوت من الخشب اي حسب الشكل التقليدي، لم يعد يكفي لتلبية حاجة السوق، يخوت اليوم تختلف كثيراً عن السابق، وتتكاثر الطلبات حول اليخوت المزججة اي المصنوعة من ليف الزجاج ولديّ الكثير من التوصيات علي تسليمها في مواعيدها. لذلك يا سيدة روي انا بحاجة ماسة الى هذا المشغل! لو تتخلين عن عواطفك الرومنسية وتحكمين عقلك وتنظرين الى الواقع بوضوح لقبلت عرضي بشراء منزلك، ولما كنت اليوم تتحسرين على المنظر الجميل

الذي سأحرمك منه خاصة وانني سأبني حاجزاً عالياً سيحجب عنك الرؤية كلياً!

بينما كان فرايزر لامون يسترسل في كلامه، حاولت السيدة روي مقاطعته مراراً لكنه لم يفسح لها مجالاً فكان في كل مرة يحاول منعها برفع صوته عالياً، اخيراً التفت ناحيتها بأدب وقال بابتسامة:

- جاء الآن دورك، تفضلي!

- كان يتوجب عليك من باب اللياقة ان تترك الكلام للأكبر منك سناً!

- باعتقادي ان العكس هو الصحيح يا سيدة روي، فمن باب اللياقة عدم مقاطعة المتكلم اثناء حديثه.

وأضاف فرايزر لامون بأدب:

- تعلقك بهذا المنزل يا سيدة روي هو تعلق عاطفي فقط فما حاجتك لمنزل رطب يلعب فيه الهواء من جميع جهاته . . . وأنت تحتفظين به لشعورك بالفخر وفخرك هذا ليس في محله!

- انت الذي يتحدث عن الفخر الذي في غير محله يا سيد لامون.

فتابع فرايزر غير آبه بتعليقها وبعكسها الحجة عليه:

- لو اقدمت على بيع منزلك في الخريف، لكنت اليوم تسكنين شقة حديثة ولكانت صحتك في احسن حال!

- موضوع شراء منزلي يا سيد لامون انتهينا منه، شرحت لك في السابق انني سأوصي به الى احدى قريباتي الوريثة الوحيدة لعائلة روي. وأحب ان انبهك الى مشروعك بشراء «فيللا الشروق» فلا تعتقد انك ستنجح في اقناع صاحبها بذلك . . . جورج موريسون يتقيد عادة بنصائحي . . . ولن يبيعك ابداً!

- لايزعجني هذا الأمر على الاطلاق! لست بحاجة الى الفيللا في الوقت الحاضر!

وأضاف بعصب بارد:

- ارجو ان اكون قد اقنعتك يا سيدة روي بأن ورشة عملي شرعية وتتمتع باجازة قانونية؟

- للأسف يا سيد لامون!

وأضافت مود بلؤم:

- اطلب منك ان تمنع ابنك جوني من تكرار زياراته لنا، لا احب مشاهدته فهو يذكرني بوالده وأنت تذكرني بجدك. وهذه الذكريات تؤلمني، الا يكفيني ما فعلته عائلتكم بحياتي؟

احست مود بتعب مفاجىء مما شغل بال ليزا عليها، لكن فرايزر لم ينه حديثه معها فأضاف كان شيئاً لم يكن:

- لم اسمح يوماً لجوني بزيارتك يا سيدة روي، جرى الأمر خارجاً عن ارادتي... تصبحين على خير. اتصلي بي اذا كان عندك من جديد حول عرضي الدائم بشراء منزلك!

واتجه فرايزر الى المدخل فلحقت به ليزا وخاطبته قائلة:

- اعتذر لما بدر من خالتي، ارجو الا يسيء هذا الأمر الى جوني؟!

اجاب فرايزر باقتضاب:

- لا! سوف يعتاده!

- تماماً كما اعتدت انت المراحل المؤسفة من حياتك... عندما رحلت والدتك من اردمونت الى غلاسكو بعدما باعت املاكها... او عندما توفيت زوجتك!

صرخت ليزا بوجهه هذا الاتهام فحل عليه كالصاعقة لكنه لم يحرك ساكناً بل حافظ على جوده مما ادهش ليزا وتعجبت من مقدرته في السيطرة على نفسه. لكنها قرأت في عينيه مقدار اهانتها له.

فأضافت محمومة:

- لن يمنعني احد من رؤية جوني، لا انت ولا... حتى خالتي مود!

اجاب فرايزر بصوت بارد:

- لن ترين جوني بعد اليوم... في اي حال... انه في المستشفى!

قالت بصوت متقطع:

- ماذا جرى له؟ لماذا في المستشفى؟

- حادث في ملعب المدرسة سببه انفعال عنيف!

اجاب فرايزر ببساطة بالغة كأنه يتحدث مثلاً عن حالة الطقس بينما احست ليزا ان الأرض انزاحت من تحتها، فأسرعت في انهاء الحوار قائلة باستسلام:

- متأسفة سيد فرايزر لما حصل لجوني...

ولم تجرؤ على قول المزيد خشية ان يلحظ انفعالها الشديد، خاصة انه حافظ على رباطة جأشه، لكنها لم تستسلم بسهولة لفكرة عدم ذهابها لزيارة جوني في المستشفى فقررت اغتنام هذه الفرصة والحت قائلة:

- سأزور جوني في المستشفى حتماً!

فصرخ فرايزر في وجهها كاسراً وجهه الجليدي الذي حافظ عليه حتى هذه اللحظة:

- لا!

هبط جوابه عليها كالفأس وقالت باستغاثة:

- لماذا؟ ربما يمكنني مساعدته على الشفاء!

- تساعدينه على الشفاء يا آنسة ليزا اذا ابتعدت عنه!

اجاب فرايزر بغموض بالغ وعيناه تقدحان شرراً كعادته عندما يضطر لاظهار حقيقة شعوره. وارتعشت ليزا لهذه النظرات التي طالما ارتعدت لها واهتزت في اعماقها.

وخرج داوياً خلفه الباب بقوة وبقيت وحيدة متجمدة في مكانها كلوح من الثلج. واخذت تلجم انفاسها وتلملم انفعالها محاولة التأمل في رسم احتل جدار المدخل... وضاع نظرها في البعيد... البعيد...

٤- هدنة سلام

انفجرت السيدة روي باكية كسائر المرضى الذين يقلقهم أي خبر مشوش وذلك عندما أخبرتها ليزا بأن جوني لامون في المستشفى بسبب حادث وقع له في المدرسة.

- لو وصلني هذا النبأ قبل حضور فرايزر الى منزلي، لما تعرّضت له بهذه الطريقة العدائية... كنت أريد معاكسته فقط، لا أعرف أي سلاح استخدم لاخضاعه، هذا فرايزر اللعين... كيف أحطمه؟

لم تجد ليزا جواباً فهي أيضاً تبحث عن نقطة الضعف في شخصيته. خالتها على حق، فرايزر لامون من الرجال الاشداء الذين لا يسهل احباط عزيمتهم. لكن حالة خالتها لم تتحسن فعادت الى الكلام وبأسف شديد قالت:

- ليزا... اتصلي بفرايزر لامون يومياً للاطمئنان عن جوني، ما ذنب هذا الولد الصغير؟ فكري بطريقة يمكننا بواسطتها مساعدته، أن نرسل له زهوراً أو اي شيء... لست أدري، لئلا يعتقد أننا تخلينا عنه.

- حسناً سأفعل.

- لن يطمئن لي بال يا ليزا قبل ان اكتب المنزل باسمك شرعياً، سأتصل اليوم بالكاتب العدل... اتعتقدين انه من الأفضل جسّ نبض فرايزر لامون قبل المباشرة بهذه المعاملة كي نعرف على الأقل ما هي نواياه؟

- سوف أحاول لكنني لن أعدك بشيء، فالسيد لامون يتجنبني ولا أعرف السبب، من الأفضل ان استقصي بعض المعلومات عنه من ساندي!

وبالفعل أمضت ليزا أسبوعاً كاملا تتصل بمكتب فرايزر لامون للاطمئنان عن جوني، وفي كل مرّة كانت تجيبها السكرتيرة بتحفظ شديد كأنها تلبي ما طلب منها وتنفذ ارشادات مديرها.

أغاظ هذا الوضع ليزا فهي لا تعرف شيئاً عن جوني سوى انه «تحسنت حالته». فقررت يوماً كسر هذا الطوق من العموميات وطلبت من السكرتيرة امكانية زيارة جوني في المستشفى فهي تود ان تحمل اليه بعض قطع الحلوى التي يحبها.

صعقت السكرتيرة لكنها لم تظهر اي انفعال خاص بل على العكس وجدت جواباً ملائماً ومناسباً وقالت بلهجة موضوعية:

- اعتذر يا آنسة ليزا لن يمكنني تحقيق رغبتك، ارشادات الطبيب صارمة، لا أحد يزور جوني على الاطلاق، حتى والده السيد لامون امتنع عنه. جوني بحاجة ماسة الى الهدوء والراحة.

فهمت ليزا انها لن تفيد شيئاً من مخابراتها الهاتفية لسكرتيرة لامون الآنسة جانين، وقررت الاتصال بالمستشفى مباشرة، يكفيها ما سمعته من جانين... لا شيء يدعو الى الطمأنينة والتفاؤل. ومرة أخرى اصطدمت بجدار سميك، كيف ستنجح مع فرايزر لامون؟ قالوا لها في المستشفى انه لا يحق لها الاستفسار عن جوني لامون طالما انها ليست من اقربائه. لكنها هذه المرّة لم تدع الفشل يحطمها ويحبط من عزيمتها فقررت ركوب السيارة وقطع مسافة ٣٠ كيلومتراً حتى المستشفى، وسوف ترى ما سيكون ردّ فعل السيد لامون؟ يكفيها ان تسأل الطبيب عنه مباشرة وشخصياً وتترك له بعض الحلوى. وبينما هي تستعد للخروج رنّ جرس هاتفها، على الخط سارة شيزهولم:

- آلو ليزا؟ اسعدت مساء. أحب تذكيرك بموعد العشاء غداً وأرجو ان تكوني متفرغة ولم تنسِ الدعوة.

- لا أبداً... لم انسَ، بالعكس أنا متشوقة جداً لمقابلتك، لدي ما اطلعك عليه.

وكانت تعني الفروتين اللتين اجرت عليهما تجارب الصباغ.

أجابتها سارة بصوت حاد:

- عظيم. فرايزر سيكون غداً، اكّد لي هذا الامر اليوم!

- هل طمأنك عن جوني؟

- لا لم يفعل وأنا لم اسأله، أعرف فرايزر جيداً فلا يجب ان يتدخل أحد في شؤونه الشخصية.

- ولماذا هذا التكتم؟

- أظنه يخاف ان تستغل النساء وضعه العائلي ويستعملن جوني وسيلة للوصول اليه... اعتقد انه على حق، علّمته التجارب الماضية ان يكون حذراً... وهذا ما جرى لي شخصياً كما حدث لغيري في السابق... لكن هذه المواقف لا تؤثر فيه على الاطلاق!

وأضافت سارة بلهجة وقحة:

- لم استفسر منك يا آنسة ليزا عمّا به جوني بالضبط؟

- تعرّض لحادث في المدرسة وهو الآن في المستشفى.

فقالت سارة بانشراح ودلال:

- ما هذا النبأ الرديء. فرايزر الآن غارق في أعماله ولن يسمح له وقته لزيارة ابنه في المستشفى اما انت فاظن انك تزورين جوني لأنك تميلين اليه؟

- صدقت. في أي حال سوف يطمئنك عنه فرايزر في الغد.

- آه! أنا وفرايزر لدينا أحاديث اخرى نتبادلها، تصبحين على خير!

اقفلت ليزا الخط بعصبية بالغة لأنها شعرت بنوايا سارة السيئة، فهي كانت تلمح الى رواية مارجوري موريسون. اغضبها هذا الظن الفاسد والخبيث وتمنت لو استطاعت اقفال الخط في وجهها. لكنها انتظرت نهاية الحوار بأدب واعادت السماعة الى مكانها بهدوء وجلست مستسلمة لافكارها. اذن؟! هذا هو الانطباع الذي كونه فرايزر لامون عنها؟ انه يشبهها بمارجوري موريسون ولا شك ان سارة اوحت اليه ذلك بطريقة غير مباشرة! وربما يضحكان منها في جلساتهما الحميمة ويفسران تعاطيها مع جوني كوسيلة للفت انتباه فرايزر اليها...

كلما فكرت ليزا في هذا الامر زاد غضبها. وقررت أخيراً اللجوء الى العمل علها تنسى ولو مرحلياً هذه الاساءة، فلو بقيت على هذه الحال لدفعها غيظها الى زيارة لامون في هذه اللحظة بالذات ومصارحته بحقيقة شعورها تجاهه. لأن اتهامه لها هو في غاية السخافة، وهي لم تفكر يوماً بالزواج وخاصة من رجل مثله، ولا تعتبر الرجال طريدة تصطادهم لدخول

القفص الذهبي. مفهومها للزواج اسمى وأكبر مما يظنه! فالزواج هو نتيجة حب ويبنى على الاحترام المتبادل! ولم تهدأ الا عندما انهت صبّ حممها على فرايزر وهي تفكر في ما ستقوله له عندما تراه. وقامت الى عملها بحماس وبدأت ترسم موديلا للفروتين بعدما نجح الصباغ. وتساءلت وهي تحاول ان تنسى حوارها الهاتفي مع سارة هذا المساء، لماذا تعير اهتماماً بالغاً لموقف فرايزر منها؟ واستغربت انزعاجها من الصورة الخاطئة التي يكونها عنها. ما همّها رأيه بها؟ وتشديده على منعها من رؤية جوني ليس الا حجة كي يحمي نفسه منها.

في الصباح الباكر قصدت ساندي وهي تحمل اليه الفروتين مع الموديل الذي رسمته. فرح ساندي كثيراً وطلب منها بالحاح قبول عرضه بالعمل معه في المعمل قائلا بتأكيد:

- لا ينقصنا سوى الخياطة!

- بالفعل (أجابت ليزا) ويجب ان نسعى لايجادها... ساعرض الفروتين على سارة غداً، آسفة لغيابك عن هذه الدعوة.

- أنا آسف أيضاً لغيابي، لكن لأسباب أخرى. في أي حال، انت تتدبرين الأمور بمهارة اعجز عنها شخصياً!

- فرايزر مدعو هو ايضاً.

- يربطه عمل بوالد سارة... بكل تأكيد سوف يتحدثان عن المركب.

وخيّم صمت ثقيل بينهما قطعه ساندي فيما بعد بصوت بطيء لا يخلو من الصدق:

- لست ادري اذا كنت ما ازال أحب سارة. يبدو انها تميل الى فرايزر لامون في هذه الفترة، اتمنى لها التوفيق وارجو الا تصاب بخيبة أمل عندما تدرك ان فرايزر من صنف الرجال الذين لا يستسلمون بسهولة لمفاتن النساء!

اجابت ليزا بذكاء:

- لاحظت هذه الناحية في شخصيته واسأل نفسي عن السبب.

- لا يبوح فرايزر بما يخالجه لأحد. لم يحدثني يوماً عن سبب جفائه مع النساء. وما أقوله ليس الا استنتاجات شخصية ربما لا علاقة لها بالواقع... ربما وفاة زوجته باكراً كان له الاثر البالغ في تغيير طريقة تعامله

مع النساء، وهو لا يزال يعيش تحت وطأة هذه الصدمة، لأنه باعتقادي كان يحب زوجته وبعدها عنه بهذه السرعة آلمه كثيراً، فتحجر قلبه أو ربما العكس هو الصحيح، زواجه كان فاشلا ولا يرغب في اعادة الكرّة. . .

- وانت يا ساندي. . . ماذا ستفعل؟

اضافت ليزا بلياقة فتنظر اليها ساندي بحدة:

- سارة شيزهولم لم تعد تناسبني. . . هنالك الكثير من الحسناوات من حولي. . .

اكتفت ليزا بسماع ساندي ولم تسجل هذه الملاحظة محاولة عدم التوقف عندها، وودعته قاصدة صديقة حميمة لخالتها السيدة رامسي التي قبلت تمضية السهرة مع مود روي خلال غياب ليزا عنها.

الطقس في الخارج ممطر والضباب الكثيف يغطي قمم الجبال.

- كوني حذرة ولا تسرعي!

قالت السيدة روي وهي تودع ليزا واضافت:

- منزل سارة شيزهولم يشرف على تلة عالية، حيث يكثر الضباب عادة، مما يحجب الرؤية خاصة وان المنعطفات خطرة. . . لكن السير خفيف في هذه الناحية.

تركت ليزا المنزل باكراً لئلا تضطر الى قيادة سيارتها بسرعة، فهي الآن مطمئنة البال فيما يتعلق بخالتها وهي ستمضي سهرتها عند سارة شيزهولم. سيارتها العتيقة تحاول جاهدة صعود الجبل والطقس في الخارج ينذر بهطول امطار غزيرة. وفجأة لدى وصولها عند منعطف قوي توقف محرك سيارتها محدثاً صوتاً رهيباً. فتمالكت ليزا نفسها وحاولت الاسراع في ازاحة سيارتها الى جانب الطريق وخرجت لترفع الغطاء الأمامي حيث ادركت انها تجهل سبب العطل المفاجىء. وبينما هي في حيرة من أمرها، لاحت لها من البعيد سيارة تتقدم في اتجاهها وصوت محركها يقترب تدريجياً فهدأ روعها واخذت تلوح بقوة تنبه لها السائق وسط الضباب الكثيف واوقف سيارته بمحاذاتها وفتح لها بوابة سيارته ففوجئت لدى رؤيتها فرايزر لامون الذي بادرها بالقول:

- هل من عطل في سيارتك؟

بدا لها أنيقاً في ثياب السهرة ووسيماً للغاية فأجابت شارحة:

- تعطل المحرّك فجأة. . .

نزل لامون من سيارته والقى نظرة على المحرك ثم أقفل الغطاء بحركة قاطعة وقال:

- من المستحسن ان تتركيها الآن حيثما هي. . . يمكنك مرافقتي. . . تفضلي!

- لحظة لو سمحت، لدي ما احتاج اليه في سيارتي!

وهرعت الى المقعد الخلفي حيث وضعت الفروتين والرسوم. وبينما هي تهم بالخروج لطمت رأسها بسقف سيارتها، وتحت اثر اللطمة حاولت وهي في حالة ضياع ان تمد الرسوم والفروتين الى فرايزر معتقدة انه ما زال قربها. لكنها دهشت عندما شاهدته جالساً أمام مقود سيارته ينظر اليها ببرود فاتجهت نحو سيارته وحاولت فتح الباب فوقعت منها الفروتان وتبعثرت رسومها على الارض. غضبت غضباً شديداً لعدم محاولته مساعدتها وهي في هذه الحال. وانحنت تلتقط الفروتين بعدها فتحت الباب والقت بهما على المقعد صارخة في وجهه:

- تفضل، ضعها حيث تشاء!

- آسف لما حصل لرسومك. . . أرجو ألاّ تكون أتلفت نهائياً. . . بدت لي ذات أهمية.

فارادت ان تضع اللوم عليه لكنها استسلمت لصمتها ولم تنظر اليه فاكمل قائلا بادب:

- تنوين عرض رسومك على سارة؟

- نعم!

- أنت مصممة أزياء؟

- نعم!

- هذا ظاهر من أسلوبك في اختيار ملابسك. اعتقد انك تصممينها بنفسك مما يظهر رشاقتك ويبرز اناقتك. تخضع مهنتك للمبدأ نفسه الذي تخضع له مهنة صناعة المراكب. . . الهيكلية والتركيب هما عنصران أساسيان لاعطاء الشكل العام وللحفاظ على جمالية الخطوط.

نسيت ليزا انه يخطط رسوماً للمراكب التي يصنعها، لذا فهو ينظر الى الازياء نظرة محترف ويقدر جمالية ثوب معين. وأخذت تجمع رسومها التي

لوثتها مياه الطريق وكادت الدموع تنفر من عينيها لشدة حزنها وأسفها. لكنها تمالكت نفسها ولم توجه اليه أية ملاحظة عن تصرفه اللامبالي قالت له ببساطة:

- أيجب ان اقفل سيارتي؟

- كما تشائين.

فتمتمت ليزا وهي تعود الى سيارتها:

- يا له من فظ!

وتمنت الاّ تحتاج اليه بعد اليوم. وما ان جلست في سيارته حتى اقلع بسرعة. حدقت في البعيد وهي ترثي لما جرى لها... ان شاء الحوار أو لم يشأ... ما همها، الا يكفيها ما حصل لها؟ وبعد مرور فترة قصيرة قطع فرايزر الصمت قائلا:

- من الغريب اننا نعمل في مهنتين متشابهتين، أليس كذلك؟

وكأنه في هذه اللحظة قرأ ما يجول في خاطرها، أدارت رأسها الى النافذة وغاب نظرها في البعيد. بدأت الطريق تضيق بالأعشاب البرية التي تلمع تحت قطرات المطر. وعاد فرايزر الى الكلام ساخراً:

- تلازمين الصمت على غير عادتك. ان كنت توفرين الكلام للعشاء، فلن يمكنك تحقيق رغبتك، والدا سارة لن يفسحا لك المجال... فهما ثرثاران بما فيه الكفاية. وان كنت تنوين العمل مع سارة انصحك بعدم معاكستها في الرأي حتى لو تصرفت فيها بعد حسب اقتراحاتك. تفتقد سارة للحس العملي بالرغم من خيالها الواسع.

- اشكرك على نصائحك يا سيد لامون، سأحاول ان اقتدي بها.

- لا أظن بأنك ستفعلين يا آنسة ليزا، انت تتصرفين كما يحلو لك ولن تغيري عاداتك... لماذا لم تسأليني بعد عن جوني؟

تماسكت ليزا في مقعدها وقالت:

- لا رغبة لي في السؤال عنه!

- حقاً؟ الا يعني لك مرض جوني شيئاً خاصاً؟ وأخيراً اقتنعت ان تظاهرك بالاهتمام بجوني هو لعبة خطرة ومحكوم عليها بالفشل مسبقاً.

من حسن حظه انه يتولى قيادة السيارة لولا ذلك لكان نصيبه صفعة قاسية اختصرت فيها موقفها تجاهه. فاكتفت بالاجابة قائلة:

- انت على حق يا سيد لامون، كي اصبح أمّاً لجوني علي بالمقابل ان اتقبل والده، وهذا الأمر يفوق طاقتي ومقدرتي على الاحتمال!

- آخ! آخ! هذه المرة اصبت الهدف يا آنسة سميث. اعترف انني استحق هذا الجواب!

- هذا لا يكفي يا سيد لامون بل أجد من واجبي ان أضيف ان قيادتك للسيارة في الوقت الحاضر وفرت عليك امراً محرجاً كنت اتحاشاه. فانت في الواقع تستحق صفعة محكمة على كلامك هذا... لأنك تدرك تماماً مدى قلقي على حالة جوني. اتصلت بسكرتيرتك في الأسبوع الفائت، ثلاث مرات ولم أحصل على جواب كاف. وأريدك ان تعلم أيضاً ان الزواج لا يشغل بالي ابداً...

وساد بينهما صمت طويل وكثيف تخللته من جانب ليزا نظرات جانبية نحوه، فبدا لها وجهه قاتماً تماماً كالمرّة الاولى عندما شاهدته في ورشة العمل. وتمنت لو تستطيع فتح باب السيارة والخروج منها!

ولم يمض وقت طويل حتى اجتازت السيارة لافتة على حافة الطريق، تبعتها قافلة من الاشجار المرتفعة بجلال. واتجهت السيارة نحو قصر ريفي ذي حجارة رمادية حيث توقفت.

تهيأت ليزا للترجل من السيارة ففاجأها لامون قائلاً بلهجة لطيفة:

- آنسة ليزا اشكرك على صراحتك وأرجو ان تتقبلي اعتذاري لشكي بصدق نيتك! ما رأيك لو ننسى ما حصل بيننا ونبدأ من جديد... من الصفر؟

اضطربت ليزا وقالت بارتباك:

- كما تشاء!

- حسناً. هذه من أخبار جوني: سيخرج من المستشفى غداً وحالته الصحية لن تسمح له بالذهاب الى المدرسة فوراً، لذا عليه ملازمة المنزل لاستعادة قواه تدريجياً. واخشى الاّ يخلد للراحة، سيصعب عليّ تسليته وحجزه في المنزل لو بقي وحيداً.

- أليس باستطاعتك التخفيف من ساعات عملك ولو لمرة واحدة؟

- سوف اضطر لذلك حتماً... انت لا تدركين حقيقة مشاعري تجاه جوني يا آنسة سميث. تحكمين عليّ فقط من خلال مظهري القاسي. لكن

في الواقع أنا لا أتأخر في اتمام ما يفرضه عليّ واجبي تجاه جوني . . . وأؤ ديه كاملاً!

- لم تقصده الى المستشفى مرة واحدة، الا ترى انه من واجبك الاطمئنان عنه؟

- لم أزره في المستشفى آنسة سميث، لأنني تقيدت بتعليمات الأطباء، في أي حال، كنت أتتبع أخباره كل يوم وأعرف كل شيء عنه، وزيارتي له لم تكن لتجدي نفعاً لأنه كان يخلد الى النوم بصورة دائمة.

وأضاف فرايزر لامون ببسمة حزينة:

- اعتقدت اننا عقدنا هدنة سلام.

خجلت ليزا لأنها وقعت من جديد ضحية تصوراتها السابقة وتصرفت بعدائية في غير محلها.

فحاولت تعويضاً عن غلطتها هذه الاعتذار منه بنظرة رقيقة من دون ان تضطر الى الكلام، فوجدته يتأملها، ولأول مرة شعرت بتيار كهربائي يجري بينهما ويجمعهما من دون ان يلامس احدهما الآخر وحاولت جاهدة ان تقطع هذه اللحظات فتمتمت وهي تتفحص ساعتها:

- هيا بنا تأخرنا.

خرجت بسرعة من السيارة ودهشت لمنظر القصر الريفي وخطوطه الهندسية الواضحة التي ترتكز عليها ابراج صغيرة من كل جانب، وتحيط بها غابة من الاشجار الوارفة تشرف على بحيرة رائعة. أما هندسة القصر من الداخل فلا تقل جمالاً ودقة في التصميم عن الخارج، فالانسجام الواضح بين الشكل الداخلي والخارجي يشيع جواً من الرفاهية والبساطة.

لفت انتباهها مثلا صف من المنحوتات العتيقة تحتل الجدران الحجرية في غرفة الطعام. كانت السيدة شيزهولم والدة سارة امرأة ذات حركة رشيقة ولطيفة، تكرّس وقتها لترميم قصرها الريفي وزوجها السيد شيزهولم صناعي قوي البنية جريء النظرة وكلاهما يحسنان استقبال الضيوف من دون تكلف وببساطة نادرة. من الضيوف بين الحاضرين هذه الليلة، السيد بيار وايت الذي بدا عصبياً طوال الوقت. وهو المصور الفوتوغرافي الشهير لمجلات الموضة وصديق قديم لسارة.

لم تغب ليزا لحظة عن مراقبة الاجواء بالرغم من تبادلها اطراف الحديث

مع المدعوين، فلاحظت تصرف سارة الطائش عندما حاولت لمرات متتالية لفت انتباه فرايزر لامون وهي تتعمد مغازلة مصورها الفوتوغرافي الشاب بيار وايت. لكن فرايزر لم يعرها اهتماماً بل اكمل حديثه مع والدها من دون ان يحرك ساكنا. فتساءلت ليزا عن امكانية تعاونها الجدي مع سارة وهي تتصرف كأية فتاة مراهقة وقطع حبل افكارها صوت السيد شيزهولم محدثا فرايزر قائلاً بصوت حماسي:

- هذا المركب يا سيد لامون سيكون رائعاً للغاية. ما يزال في حالة جيدة لكنني أعتمد عليك في وضع اللمسات الأخيرة عليه. وأريده ان يكون أسرع من مركب رونالد.

تدخلت السيدة شيزهولم مفسرة:

- رونالد هو صهري، وهو صاحب مصنع المشروبات في اردمونت.

عند نهاية العشاء انزوى فرايزر والسيد شيزهولم بعيداً عن المدعوين بينما اعتذرت السيدة شيزهولم ودخلت غرفتها ولم يبق سوى بيار وايت وسارة التي بدت مغتاظة، بينما اشعل بيار سيكارة بانشراح وهدوء. فقررت ليزا الدخول في الموضوع تواً واتجهت الى سارة وبيار:

- تركت رسومي في السيارة، الا تريان الوقت مناسباً كي نتفحصها الآن؟

أجابت سارة وهي تحاول ان تتمالك نفسها:

- سأسبقك أنا وبيار الى غرفتي حيث أعمل عادة، انها الغرفة الثانية بعد السلم على اليمين، الحقي بنا!

خرجت ليزا الى السيارة لتأتي برسومها. الطقس في الخارج ما زال ممطراً وبينما هي تتجه نحو غرفة سارة، بدا لها انها وصلت في وقت غير مناسب اذ كانا، سارة وبيار، يتشاجران بصوت مرتفع وعندما اطلت في الباب حاول كل منهما اخفاء هذا الجو المشحون فابتعد بيار نحو مقعد جانبي في الغرفة وارتمى عليه بغضب ملجوم، بينما حاولت سارة اخفاء اضطرابها باستعجالها الاهتمام بالرسوم التي حملتها ليزا. وما لبث ان دهشت لدى رؤ يتها الفروتين وابدت اهتماما بالغاً وهي تتفحصها وقالت:

- الديك رسوم لهاتين الفروتين؟

- وضعتها جانباً لانها تلوثتا بالماء بينما كنت أهم بركوب سيارة

فرايزر لامون.

- آه! انتما اذن اتيتما معاً؟

واسرعت ليزا بشرح الحادثة التي جرت معها وهي في طريقها الى كريدون هول فتنهدت سارة قائلة:

- احسنت التصرف يا آنسة ليزا، بينما انا احاول ما بوسعي لالفت انتباهه وافشل في كل مرة، انت تحظين باهتمامه، فهو يدعوك الى زيارته في منزله. لا تنكري هذا الأمر! رأيتكما في المرة الماضية تتجهان نحو بيته، لهذا السبب كنت عدائية معك على الهاتف!

فاجابت ليزا بتعجب:

- انت تحاولين لفت انظار فرايزر لامون؟

فجأة تدخل المصوّر في حدّة:

- هذه هي امنيتها الوحيدة! تحاول اثارة غيرة السيد لامون بمغازلتها لي وهذا ما يزعجني للغاية. لم أقبل دعوة العشاء هذه لألعب دوراً سخيفاً، انما لأتأكد من رغبتها في التعاون معي من جديد! آنسة سميث، سارة لا تطيق ان يتجاهلها رجل واحد!

أجابت سارة بانزعاج:

- اطمئن سوف اتعاون معك! لكن. . .

فتنبهت ليزا لاهمية تدخلها في هذه اللحظة وقالت مقاطعة سارة بلهجة مقنعة وهي تشير الى رسومها:

- يسرنا ان. . . أعني ساندي وأنا يسرنا ان تتعاون سارة معنا لعرض الأزياء لمصلحة مصنع أقمشة التويد حيث أعمل في الوقت الحاضر ويهمنا ان تظهر هذه الأزياء في مجلات الموضة!

تقدم بيار من سارة بخطى واسعة واخذ يتفحص الرسوم بتمعن واهتمام. ثم رفع نظره الى ليزا وتأملها طويلا من دون ان يعلق. وبعد حين اردف قائلاً:

- آنسة سميث انت تتمتعين بالمقاييس الضرورية التي تخولك ان تصبحي عارضة أزياء. لماذا لا تعملين أنت شخصياً لصالح مصنع أقمشة التويد وأنا مستعد للتعاون معك!

شعرت ليزا في هذه اللحظة باستياء سارة من هذا العرض المفاجيء

فاسرعت تقول موضحة:

- لا رغبة لي في العمل كعارضة أزياء. . . في رأيي سارة هي الشخص الذي يلزمنا فهي من أشهر العارضات في لندن، يكفي ان ترتدي ثوبا بسيطاً لتضفي عليه رونقاً وسحراً.

أجابت سارة بانشراح:

- هذا لطف منك يا آنسة ليزا. . . ايفرحك ان أعرض لك رسومك؟

- بدون أدنى شك! بخاصة تلك التي حققتها من أجل أقمشة التويد.

علقت سارة ببرود:

- تريدين مساعدة ساندي لويس؟ غريب أمرك. لم أتوقع هذا! أتعرفين ان ساندي كان مغرم بي فيما مضى؟

- نعم. اخبرني بذلك.

- صحيح؟ أسأل نفسي لماذا فعل؟ في أيّ حال سيكون تعاوني معه أمراً مسلياً للغاية.

تغيرت سارة فجأة من انسانة جافة عدائية، مضطربة باردة، الى حماسية وديناميكية فاستدارت نحو بيار وايت وقالت بانفعال:

- يمكننا تنفيذ هذا المشروع هنا في كريدون هول! ما رأيك يا بيار بهذا القصر الريفي كمكان للتصوير؟

واتكبت على الرسوم تتفحصها من جديد وانتقت رسماً لثوب رمادي انيق للغاية وأضافت بالحماس نفسه:

- أنظر بيار الى هذا الثوب. الا تراني أعرضه في الخارج تحت الاشجار العالية وأمام مساكب الاقحوان. . .

فاشتعلت في بيار رغبة العمل وقام من مكانه باندفاع وقال وهو يتفحص من جديد الرسم الذي اختارته سارة:

- سوف تبدين آية من الجمال.

والتفت بيار نحو ليزا باهتمام وبتقدير وأضاف:

- لديك نظرة جديدة في تصميم الازياء، آنسة سميث، اعتقد ان تعاونك مع ساندي لويس سيدر عليه مبالغ طائلة.

أجابت ليزا بفرح كبير:

- اذن؟ انتما موافقان على العمل معنا؟

- نعم (قالت سارة بحزم) نتكلم بالأجور فيما بعد، أنا في غاية الشوق الى مشاهدة هذه الرسوم جاهزة. . . يلزمنا خياطة ماهرة.

ومضى بعد الظهر وهم يتباحثون في اختيار اجمل الرسوم وانسبها، واظهرت سارة في هذا المجال عن ذوق رفيع وعن معرفة شاملة وكافية للسوق ولوكالات الدعاية وعن ثقة كاملة في النفس، اذ اتصلت فوراً باحدى وكالات الاعلام وعينت موعداً مع احدى مجلات الموضة.

وفي طريق العودة من كريدون هول، سأل فرايزر ليزا وهما في السيارة:

- هل أمضيت فترة ما بعد الظهر. . . كما كنت تتمنين؟

- أفضل مما كنت أتوقع. حضور بيار وايت في السهرة سهّل عليّ اموراً كثيرة!

واختصرت لفرايزر ما جرى بينها وبين بيار وسارة.

توقف المطر عن الهطول ولاحت في السماء شمس خجولة، تحاول جاهدة ان تخرق الغيوم الكثيفة، فعلق فرايزر بأدب:

- ستعملين اذن مع ساندي كشريكة له في مصنع التوريد؟

- أظن ان تعاوني معه سوف يسره كثيراً. . . لكنني أفضل العمل من دون الالتزام بعقد خطي، احب المحافظة على استقلاليتي ضمن قيامي بالواجب، وتنفيذ كل توصية بمفردها، تماماً كما تفعل في صناعة المراكب.

- أسلوبك في العمل هذا، يتطلب جراة وعزماً. . . من يختار هذا الاسلوب يجب ان يكون في الموقع الاقوى.

أشارت ليزا بذكاء الى ناحية من حياته المهنية معلقة بوضوح:

- لقد نجحت يا سيد لامون في عملك حتى اليوم. . . أليس كذلك؟

- أجل، نجحت. . . هذا يعود لامتلاكي مؤسسة جاهزة فأنا لا اكتفي برسم وتخطيط هيكلية المراكب انما انفذها أيضاً واشرف على صيانتها، وأصلح ما تعطل فيها واحياناً كثيرة انقلها من شاطىء الى آخر.

- سوف تبحر اذن في مركب السيد شيزهولم؟

- أجل.

- لماذا قبلت بهذا الحل؟

- لا خيار لي. يجب ان أقوده بنفسي.

- كان بامكانك شحنه بواسطة سفينة ففي هذه المرحلة من السنة يكون

الطقس عاصفاً وبارداً والبحر هائجاً.

- فكرت بشحنه لكن حجم المركب حال دون ذلك ولا خوف عليّ من العواصف، فالمركب مجهز بمحرك خاص لحالات الطوارىء.

- اذن انت مجبر على القيام بهذه المهمة شخصياً؟

- بالطبع! آنسة ليزا! لن أبقى مكتوف اليدين في مكتبي وأرسل شخصاً عوضاً عني، هذه فرصة العمر ولن افوّتها عليّ، فأنا مولع بقيادة المراكب واعشق الملاحة، لهذا السبب اخترت هذه المهنة بالذات. . . انما العائق الوحيد الذي يزعجني قليلا في هذه المسألة، هو ان هاري شيزهولم يريد مركبه جاهزاً في أسرع وقت ممكن، وهذا معناه انه علينا اتمام التصليحات اللازمة قبل فصل الصيف!

وأضاف فرايزر بحيرة ظاهرة:

- ما العمل ولم أجد احداً اثق به كفاية ليحل محل السيدة دوبي. . . خاصة في هذه المرحلة وجوني لم يتعاف بعد.

تمنت ليزا لو كان باستطاعتها عرض خدماتها عليه، للسهر على جوني في فترة غيابه، لكنها ترددت بخاصة بعد هدنة السلام التي سادت بينه وبينها فهي تخاف ان تقع مجدداً في شباكه وتستسلم لسحر شخصيته الفذة، هو بالحقيقة رجل جذاب خاصة عندما تنفرج اساريره وتكلل وجهه بسمة لطيفة.

بعد ان اوضحت له عدم رغبتها بالزواج تخاف الآن الوقوع في حبائل الهوى ان تعددت مقابلاتها له. انما هذا السحر الغريب كما تسميه الخالة مود يجذبها بقوة وشيء ما يشدها اليه، ربما قوته الهادئة التي لا تفارقه حتى عندما يثني عليها بالمديح، فكأنه يفعل ذلك بالرغم منه مما يزيد في غرابة شخصيته وفعاليتها. وعندما يشعر بحاجة الى أي شيء ويطلبه من الآخرين، تقوى جاذبيته دون ان يفقد شيئاً من قوته وسلطته.

لذا قررت ليزا من باب الحذر واليقين عدم التسرع في الاجابة وانتظار مرور الوقت عله يأتيها بحلّ أفضل.

وصلا الى حيث اوقفت سيارتها على قارعة الطريق. فترجل فرايزر بعدما اخذ العدة اللازمة وفتح الغطاء الأمامي لسيارتها محاولا اصلاح ما تعطل.

لم يمض وقت طويل على شروعه في ورشة التصليح حتى دار المحرك، وتولى هو بنفسه مهمة وضع السيارة في الاتجاه الملائم لطريق العودة.

دهشت ليزا لدى سماعها محرّك سيارتها. واقترب منها فرايزر مودعاً:

- كل شيء جاهز يا آنسة سميث، اخشى ان تكوني قد لجأت الى حيلة سخيفة ليتسنى لك مرافقتي حتى كريدون هول. تفضلي!

- لست من هذا الطراز يا سيد لامون!

فحدق بها فرايزر مطولا وقال بلهجة ساخرة:

- تزدادين جمالا يا آنسة سميث عندما تخجلين!

فصعدت الى سيارتها وهي تنظر اليه بكبرياء واستعلاء، وشعرت في هذه اللحظة بالتيار الكهربائي نفسه الذي جرى بينهما وهما في طريقهما الى كريدون هول، فاستدار فرايزر فجأة الى سيارته وأقفل بابه بقوة واقتحمت سيارته ستار الليل تاركة ليزا مأخوذة في عالم جديد من الغرابة والحلم!

٥- نار العاصفة

وفي اليوم التالي، اسرعت ليزا تحمل النبأ السار الى ساندي. المشغل كان مقفلا لعطلة نهاية الاسبوع، لكن ساندي كان حاضراً برفقة احدى الآنسات، يطوف بها عبر المشغل ويطلعها على آلياته الحديثة. الآنسة تدعى اينا سكوت وهي خياطة ذاع صيتها في غلاسكو واتت الى اردمونت لتزور اهلها، فدعاها ساندي الى مشغله وعرض عليها العمل معه.

اجابت الآنسة سكوت:

- العمل في اردمونت يثيرني للغاية. فأنا أحلم منذ زمن طويل بالعودة الى اردمونت... لكن الأمر الوحيد الذي اخشاه هو عدم توفر الطلبيات اللازمة...

فاسرعت ليزا بالاجابة بحماس كبير:

- لدي ما تحتاجينه يا آنسة، فرص العمل متوفرة بما فيه الكفاية.

وشرحت ليزا لساندي وللآنسة سكوت، ما جرى معها بالأمس عند سارة شيزهولم، واطلعت الخياطة على الرسوم التي اعدتها لعارضة الأزياء، والتي سيتم نشرها في مجلات الموضة.

- اهنئك يا آنسة ليزا، رسومك في غاية الذوق.

قال ساندي متجاوباً مع حماسها واعجابها:

- هل يمكنك البدء بتنفيذها؟

أجابت اينا سكوت:

- بالطبع!

وأضافت بشيء من التردد:

- لكنني لا أستطيع المباشرة بالعمل فوراً... أنا متأسفة.
قال ساندي مستغرباً:
- لماذا؟
- لا يمكنني ترك وظيفتي في غلاسكو دون الانذار مسبقاً... ان فعلت خسرت راتبي.
أجاب ساندي بحماس غير معهود:
- آنسة سكوت، يمكنك التخلي عن وظيفتك ابتداء من هذه اللحظة... ساعوض عليك راتبك.
لكن اينا سكوت لم تطمئن لهذا العرض المفاجىء، فعاودت الكلام بتردد وبحيرة:
- ساندي صحيح انني أثق بك... لكن هذا لا يكفي...
فقاطعتها ليزا قائلة:
- آنسة سكوت، بامكانك ان تثقي بي أنا أيضاً... ان قبلت عرض ساندي، اليوم، لن تضطري الى السفر غداً الى غلاسكو... بل تبقين معنا وتباشرين عملك... أمامك فصلا كاملاً من العمل المتواصل.
وأضاف ساندي:
- واعدك براتب محترم، ان وافقت مرّي بنا في الغد لتناول الشاي معنا، والآنسة سميث ستوافينا هي أيضاً برفقة خالتها السيدة مود روي.
- السيدة روي قريبتك؟ أعرفها جيداً... اذن... سأفكر بالامر واعطيكما جواباً غداً...
وفي الغد، عادت الآنسة اينا سكوت، وبدأت بتنفيذ الرسوم التي اعدتها ليزا، وبسرعة اظهرت عن مهارتها، اضافة الى روحها المرحة، وشخصيتها الخفيفة الظلّ. وكانت منشرحة للغاية ومرتاحة لعودتها الى ادرمونت مسقط رأسها. وسألتها ليزا:
- كيف تبدو لك ادرمونت بعد غيابك الطويل عنها؟
- أجدها اكثر نشاطاً وحيوية من الماضي. الفضل يعود لمشغل اقمشة التويد، ولورشة البناء التي تقام عند حوض المراكب... فالذين تركوا من قبل، سيعودون لتوفر فرص العمل لديهم... هل... تعرفت الى السيد فرايزر لامون؟ اخي وأبي يعملان عنده في الورشة، ويخصانه بمحبة

فائقة... ويحاربان الألسن البغيضة التي تذيع الاخبار الكاذبة عن زوجته.
- عن زوجته؟ ألم تفارق الحياة؟
- هذا ما يعتقده البعض، لكن في الواقع، السيد لامون، لم يحدث أحداً بهذا الشأن.
ما قالته اينا سكوت بخصوص السيدة فرايزر، زوجة لامون، أقلق ليزا كثيراً، فاحست على الفور بحاجة الى استراحة، فقررت ترك جلسة العمل قليلا مع اينا، والذهاب للاطمئنان عن جوني.
أمام باب فرايزر لامون، وقفت ليزا تنتظر بعدما قرعت الجرس. وبعد لحظات قصيرة، فتحت لها، سيدة في الاربعين من عمرها، فبادرتها ليزا بالقول:
- السيد لامون موجود؟
- خرج منذ الصباح، يا آنسة.
- جئت لاطمئن عن جوني.
- جوني ما زال نائماً... ولا أرغب في ايقاظه.
أجابت السيدة بلطف. يبدو عليها انها رقيقة وناعمة، وسيعتادها جوني، بلا شك... قالت ليزا في نفسها ثم اردفت قائلة:
- لا، ارجوك، لا ارغب في ازعاج جوني. أعرفك بنفسي: أنا ليزا سميث واسكن في ادرمونت.
- أنت قريبة السيدة مود روي؟ نعم اعرفك يا آنسة ليزا. أنا السيدة ديكسون أتولى السهر على جوني، في غياب والده لمدة أسبوع. انه في البرتغال.
- تشرفت بمعرفتك. والواقع انا مسرورة جداً لكونك تتولين أمر جوني. ان احتجت لأي شيء، ارجوك اتصلي بي. أنا وجوني صديقان.
- بكل سرور، فغياب السيد لامون عن ابنه في هذه الفترة، أمر مزعج للغاية! جوني متأثر جداً لغيابه وأعترف لك يا آنسة ليزا، ان السهر على تربية ولد في غياب الأم، أمر في غاية الصعوبة. الحقيقة أنا اشفق على جوني، كما أرثي لحالة فرايزر...
وعادت ليزا ادراجها، وكلام السيدة ديكسون يعتمل عميقاً في داخلها. لم يسبق لها ان فكرت بوضع فرايزر لامون العائلي، فوضعه لا يحسد عليه،

خاصة ان جوني ولد حساس للغاية، يتطلب اهتماماً متواصلا، وفرايزر رجل اعمال طموح لا يهدأ.

ربما الأيام القاسية التي مرّ بها جعلته منيعاً لا تطاله الصدمات والمآسي، ألم يترك جوني وهو في مرحلة الاستشفاء؟ حبه للسفر وللملاحة، لم يقف حاجزاً بينه وبين واجباته كأب، بل لبى رغبته في السفر وترك جوني وحيداً... كل هذا يمر في بال ليزا، وهي جالسة في الدار مع خالتها... أهي تظلمه؟ ام تراها تحكم عليه بالحق؟ سألتها فجأة السيدة روي:

ـ بماذا تفكرين؟ أراك تخاطبين نفسك... ما الذي يشغل بالك؟

ـ أسأل نفسي، كيف تجرأ السيد فرايزر لامون، وترك ابنه جوني وحيداً تحت رعاية السيدة ديكسون... فهي قالت لي اليوم... ان جوني منفعل للغاية.

ـ لا تقلقي... فالسيدة ديكسون رصينة وستعتني بجوني كما يجب. حان الوقت لفرايزر كي يجد عروساً... فوضعه أصبح لا يطاق!

قالت ليزا بشيء من الالحاح:

ـ ربما لم يجد بعد المرأة التي تناسبه.

ـ الأمر ليس كما تتصورين يا عزيزتي ليزا، كثيرات يطمحن للوصول الى هذا الهدف: الاهتمام بولد في مقابل العيش بأمان وراحة. وهذا ما يلائم جوني أيضاً بالطبع.

ـ ربما انت على حق. لكن اليوم الفتيات يتزوجن بدافع الحب...

ـ هذا لا يمنع ان يكون الزواج المبني على المنطق هو صالح أيضاً...

ـ لماذا... لم تتزوجي انت يا خالتي؟

سألت ليزا بفضول.

ـ بكل بساطة... لأن الرجل الذي أحببت... فضل امرأة اخرى...

ـ كيف ذلك؟ ظننت انك في ذلك الوقت... كنت مخطوبة له؟

ـ نعم! نعم! كنت خطيبته، خطيبة جون لامون... والد اب فرايزر، اي، جد فرايزر... أترين لماذا لا استطيع تحمل حضور فرايزر لامون؟ فهو شبيه بجده. ملامحه كملامح جده بالضبط!

ومضت عطلة الاسبوع بهناء، مرّ خلالها آل لويس في زيارة لليزا وخالتها

وتناولوا الشاي معاً فاغتنمت ليزا هذه الزيارة لتقوم بنزهة مع ساندي.

ـ تبدو خالتك في وضع أفضل من السابق (أشار ساندي) بالرغم من حالتها الصحية المتدهورة!

ـ حضوري معها، يريحها للغاية! اضافة الى ما علمته منذ وقت قليل... فهي مسرورة لعدول فرايزر لامون عن شراء «فيللا الشروق» من آل موريسون. اتساءل لماذا غيّر رأيه؟ كل ما عرفته منه انه في الوقت الحاضر، ليس بحاجة لشراء الفيللا، تكفيه الورشة التي باشر بها...

ـ فرايزر يهدف لتوسيع مؤسسته وليس كما يزعم الاهالي هنا بأنه يريد امتلاك أراضي اردمونت قاطبة، فهو يبغي المساعدة يا ليزا. لا تفسحي مجالا لنقمة خالتك مود للتأثير عليك، لامون بحاجة الى أصدقاء من حوله.

سألت ليزا بتعجب:

ـ ما الذي أوحى اليك بهذا؟

ـ يخيّل اليّ انه يعاني من الوحدة ويفتقد لعائلة ولمساندة شريكة جميلة!

ـ لمساندة شريكتين جميلتين مثلك... لا تنسى اينا سكوت!

قال ساندي بامتعاض:

ـ لا، لم انسها لتعد الى فرايزر... يعجبني صموده ومثابرته عل العمل... بالرغم من وحدته القاسية... أنا محظوظ لوجودك الى جانبي هل سيطول عملنا معاً؟

سؤال ساندي الأخير ازعج ليزا قليلا، وخافت ان يقصد به حياة مشتركة فيما بعد، ففضلت عدم الاجابة، والاكتفاء باختصار النزهة، وتغيير الموضوع:

ـ أنا واينا اصبحنا جاهزتين للقياس الأول... هل ندعو سارة الى المشغل غداً من أجل ذلك؟

ـ لا حاجة لذلك، طالما ان سارة ذهبت الى البرتغال برفقة والدها.

تمتمت ليزا باستغراب:

ـ الى البرتغال وفرايزر هناك ايضاً...

ـ بالضبط! سيكون لجوني أماً من أجل الامهات، وفي أقرب وقت ممكن!

ـ وهذا الأمر الا يعني لك شيئاً؟

أجاب ساندي ضاحكاً:

ـ لا شيء على الاطلاق. في كل حال يكفيني حضورك، وحضور ابنا أيضاً الى جانبي.

وعلى هذا النحو، مضى نهار الاحد. وفي اليوم التالي ذهبت ليزا لزيارة جوني، وقد بدأ الطقس يتحسن مع مجيء فصل الربيع. فبادرها جوني بلهجة عاتبة:

ـ ألهذا الحين ارجأت زيارتك لي؟ كيف تدّعين اذن انك صديقتي؟

ـ اشغالي الكثيرة منعتني من المجيء باكراً... لكنني ما زلت اعتبر نفسي صديقة لك!

يبدو جوني في حالة جيدة، ومن الظاهر انه اعتاد السيدة ديكسون ويتعامل معها بمودة. لم يأت على ذكر اقامته في المستشفى كما لم يذكر غياب والده عنه في هذه الفترة، بل تابع حديثه مع ليزا كأن شيئاً لم يكن.

ـ حدثني والدي عن انشغالك في المدة الأخيرة... لكنني فسرت غيابك الى خوفك منه، أرجو ألا يكون تفسيري صحيحاً فوالدي رجل طيب، يكفي ان تتعرفي اليه عن كثب!

ابتسمت ليزا بهدوء، ووعدت جوني بالعودة غداً مع العاب تأتي بها لتسليته. وفي الغد وفت ليزا بوعدها، وهكذا اخذت زياراتها لجوني تتوالى حتى اصبحت يومية. وفي احدى المرّات واجهتها السيدة ديكسون باضطراب غير معهود:

ـ آنسة ليزا... بلغتني سكرتيرة السيد لامون، انه أجّل عودته حتى الأسبوع المقبل، فالمركب لم يجهز بعد وأنا لن اتمكن من السهر على جوني بعد اليوم، فابنتي مريضة، ويجب ان تخضع لعملية جراحية في اقرب وقت ممكن.

ـ هل اتصلت بجانين لتحل محلك؟

ـ سيتعذر عليها المجيء بسبب اولادها، وجوني لا يستهويها!

ـ اذن... لا تقلقي يا سيدة ديكسون، ساهتم بجوني شخصياً ريثما يعود والده من السفر.

ـ شكراً جزيلا يا آنسة سميث، أنا سعيدة لهذا الحلّ، فجوني يرتاح اليك، ولن تطول مدة اقامته في البيت، طبيبه يقول انه ابتداء من نهار

الاثنين يمكنه معاودة دروسه.

وبدأت ليزا تهتم بجوني بصورة دائمة، فكانت تمرّ الى مدرسته وترافقه حتى المنزل، وتعود مسرعة لتمضي فترة ما بعد الظهر مع خالتها:

ـ من الأفضل ان يأتي جوني الى هنا، وينام عندنا!

قالت مود مرة لليزا، فاجابتها ليزا باستغراب:

ـ لماذا ينام عندنا؟ أرى انه من الأفضل ان ابقى معه... وامضي الليل في منزله...

ـ ليزا... امتثلي لنصيحتي، دعي جوني يأتي الى هنا. فأنا لا أطيق المكوث وحدي. ولا أريد ان تثار حولك الاشاعات في اردمونت.

عملت ليزا بنصيحة خالتها واتت بجوني الى منزلها كي يمضي بعض الوقت خلال غياب والده في البرتغال... خصصت له غرفة في الطابق العلوي، قرب غرفتها مباشرة، وكان جوني مسروراً للغاية فساعد ليزا على ترتيب حاجياته والعابه الخاصة، وازداد فرحه عندما علم ان الغرفة التي خصته بها ليزا كانت غرفتها في السابق.

وفي اليوم التالي تغيّر الطقس فجأة، وبدأت الريح تعصف بقوة فتعذر على جوني النوم لخوفه من العاصفة فطلب من ليزا المكوث معه في غرفته ريثما يهدأ الطقس. واخذت تقص عليه قصصاً من طفولتها، كما انشدت له أغنية كانت والدتها تنشدها لها عندما يصعب عليها النوم.

وغفا جوني على صوت ليزا، بينما العاصفة في الخارج تصفّر وتزمجر، وظلّ الطقس على هذا النحو طيلة النهار التالي. قال جوني بقلق كبير:

ـ لا اثر للشمس على الاطلاق!

ـ السماء ملبدة بالغيوم، لا تقلق، سيعود والدك سالماً.

أجابت ليزا بصوت رقيق:

ـ كنت أفضل لو أبي معنا، بدلا من ان يكون في عرض البحر.

وادركت ليزا على الفور قلق جوني بشأن والده، فلجأت الى كتب القصص التي بحوزتها، واخذت تقرأ له القصة تلو الاخرى لعلّها تخفف من قلقه.

وفي الليل، استفاقت مذعورة، وقلبها يخفق بقوة اذ سمعت جوني في الغرفة المجاورة يصرخ بخوف شديد، فهرعت اليه.

- حلمت حلماً مزعجاً . . . رأيت والدي يصارع الامواج وقد تعرَّض لحادث غرق.

قال جوني باكياً وهو يحاول ضبط انفاسه. فقالت ليزا مهدئة بصوت حنون:

- نحلم عادة عكس ما يجري في الواقع!

وأضافت بطيبة قصوى:

- لا تقلق يا جوني بشأن والدك، فهو بكل تأكيد في مأمن وربما لجأ الى احد المرافىء ليتقي العاصفة.

وجلست بقربه تؤاسيه، تغني له حيناً، وأحياناً تقرأ له قصة من كتابها. ماذا تفعل ليطمئن هذا الولد ويهدأ له بال؟ والعاصفة تزداد قوة في الخارج، والطقس لا ينذر بشمس قريبة. اخذت بيده بين يديها وضمته الى صدرها بحنان. ومضى وقت طويل وهي على هذا النحو وعندما ادركت انه استسلم للنوم من جديد، قامت على مهل لتعود الى غرفتها، ففاجأها جوني بصوته الرقيق قائلا:

- ليزا ارجوك لا ترحلي!

ابتسمت بهدوء، وعادت لتجلس الى جانبه واغمضت عيناها برفق، واخذت الافكار تتوالى الى راسها. . . جوني في حالة ارتباك شديدة، وهي أيضاً، فالعاصفة تقوى باستمرار، وعليها ان تؤاسي هذا الولد وتخفف من ارتباكه، ومن يؤاسيها هي ويخفف عنها؟ هي أيضاً مشغولة البال، تخشى ان يكون فرايزر قد تعرَّض لحادث ما تماماً كما جرى في الماضي لوالده. واغمضت عيناها بقوة داعية للسماء ان يكون فرايزر بخير.

أمضت الليل بالقرب من جوني، واستفاقت في اليوم التالي بعدما جمَّد البرد أطرافها، فالقت نظرة اطمئنان على جوني، وهرعت الى النافذة. لا يزال الوقت باكراً، ولا ضجة في الخارج، الهدوء يسود كل مكان، ولا اثر للهواء وللعواصف السماء تبشر بفجر جديد هادىء. ازاحت الستائر لتتمتع بمنظر البيوت والتلال، بعد ليل صاخب، فلاح لها البحر البعيد بصفحته الزرقاء التي تعكس سماء صافية، وفجأة اتجه نظرها الى المرفأ فانتبهت للشراع العالي، الذي ينتصب عالياً برغم الليل الهائج وادركت ان المركب الجاثم هناك هو البشارة السعيدة التي انتظرتها طوال الليل.

فهرعت الى غرفتها ترتدي ثيابها بسرعة وقلبها يخفق كما لم يخفق من قبل، ولم تعرف كيف خرجت من منزلها الى الشارع، ووجنتاها تعبقان حرارة.

قادتها قدماها عبر الارصفة، وبخفة فائقة قطعت المسافة دون ان تشعر بتعب، ولأول مرة توقفت لدى سماعها زقزقة عصفور الصباح في الحقل، وادركت انها تمرّ في أجمل لحظات حياتها، وكأن الدنيا تحتفل بعيد لا مثيل له، فلم تشأ ان تعكّر صفو افكارها، بتحليلات معقدة بل تركت نفسها تستسلم لاحساسها دون استشارة عقلها، ومرت في بالها ابيات شعر من قصيدة حب كانت قد حفظتها في السابق:

- قلبي يخفق ويغني فهو عاشق متيَّم!

هل هذا صحيح؟ هل هي عاشقة فعلا؟ ام خرجت بهذه السرعة، لتطمئن فقط عن عودة فرايزر بالسلامة، ولتحمل الخبر السار الى جوني. لن تفسّر هذا الشعور بشكل آخر ولن تحمله المزيد من المعاني، هي الآن هنا، في هذه الساعة المبكرة من الصباح من أجل جوني وهي اكيدة من شعورها.

ولكن، لماذا خرجت بهذه السرعة؟ ألم يكن بامكانها الانتظار حتى حلول النهار وتناول الفطور على مهل مع جوني، ثم المجيء الى منزل فرايزر للاطمئنان عنه؟

وحاولت ضبط انفاسها، للتخفيف من خفقان قلبها وعندما هدأت قليلا، دخلت الى المنزل بواسطة المفتاح الذي تركته لها السيدة ديكسون.

في الداخل، شعرت ليزا، بهدوء ثقيل يسيطر على الجو، فالقت نظرة خاطفة على المطبخ، لم تجد احداً، ثم اتجهت الى الدار، لا أحد أيضاً. شيء ما يقول ان فرايزر هنا. قادتها خطاها الى غرف النوم دون ان تحدث جلبة لعله كان نائماً، ولاح لها من البعيد وهي تقترب ناحية غرفة فرايزر، راسه المكسو بشعره الكستنائي، المبعثر على الوسادة وقد ارتمى عليها بثيابه، دون شك، بعدما عاد ليلة امس تعباً مرهقاً من الملاحة.

اطمأنت لدى مشاهدته يغوص في النوم، وعادت ادراجها بخفة لكن خطاها احدثت صوتاً على الارض الخشبية فاستدار فرايزر في فراشه. وتجمدت ليزا آملة ان يعود ويخلد الى النوم لكن ذهب رجاؤها سدى، لأن

فرايزر قال، دون ان يتحرك:

- جوني؟ هذا أنت؟

وعاد صوت فرايزر التعب، ليقول:

- جوني! تعال!

تمتمت ليزا بصوت خافت، وهي تحاول السيطرة على اضطرابها:

- هذه أنا... ليزا.

فجأة، قفز فرايزر من مكانه، كأنه لم يكن في حالة تعب شديد، واتجه الى ليزا الواقفة في الباب، فبانت لها لحيته. انها المرة الاولى، تراه والشعر يكسو وجنتيه، فهو يبدو تماماً كالملاحين بشعره المنسدل على جبينه، مما يخفف من قسوته المعهودة، ويضفي عليه طراوة خاصة. لكنها ما لبثت ان سمعت صوته وخاب ظنها فهو عندما يخاطبها، يتسلح بسطوته، ويستعمل صوتاً بارداً جامداً كالحجر. قال فرايزر باستغراب شديد:

- ماذا تفعلين هنا؟

ولم تندهش للهجته العدائية، بل أجابت برباطة جاش:

- رأيت المركب في المرفأ... وجئت لاطمئن عن عودتك سالماً معافى!

فتعجب فرايزر وقال:

- ولماذا هذا القلق المفاجىء؟

- لأن جوني، في ضيافتي وهو ينام عندنا منذ...

فقاطعها فرايزر بحنق:

- بأية مناسبة دعوت جوني ليحل ضيفاً عندكم؟ ولماذا يستحق هذا الشرف لينعم بضيافتكم؟ آنسة ليزا... هل اختطفت جوني مرة ثانية؟

أجابت ليزا وهي تحاول ان تضبط اعصابها:

- اضطرت السيدة ديكسون للغياب، ابنتها مريضة ويلزمها عملية جراحية... فعرضت خدماتي يا سيد فرايزر ريثما تعود من سفرك، لم أجد طريقة أخرى للتصرف في ظرف كهذا... لو كان بمقدوري اللحاق بك، لاستأذنتك أمر اعتنائي بجوني.

- أنا مدين لك بخدمة... لكن الأمر الغريب هو اقتناع خالتك باستضافة ابني تحت سقفها؟

- هي التي اقترحت علي دعوة جوني الى بيتها اذ ارادت تجنب مكوثي هنا

ولو لليلة واحدة..

- حسناً فعلت... خاصة واني عدت عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

- ولم تفتقد جوني في غرفته؟

- اعتقدت انه في الداخل، لدى مشاهدتي باب غرفته مقفلا. لم اشأ ازعاجه. كيف أصبح؟

- اخافته العاصفة ليلة أمس ولم ينم جيداً وحلم حلماً مزعجاً، رآك تصارع الأمواج لكنه الآن في أحسن حال، هل ترافقني لتسكّن روعه؟

- أكون جاهزاً بعد عشرين دقيقة!

قال فرايزر فجأة بصوت منفعل. وخرج من الغرفة، واتجهت ليزا الى الدار بعد ان اقفلت الباب خلفها. وما هي الا دقائق معدودة، حتى لحق بها فرايزر وانطلقا الى منزل الخالة مود، ولاحظت ليزا انه لم يضيع وقته في حلق ذقنه، بل اكتفى بتبديل ثيابه ووافاها مسرعاً. جذبتها من جديد لحيته الناشئة، فقالت له:

- ربما لن يستهويك جوني بلحيتك.

- لا! لن تزعجه لحيتي، اعتاد جوني رؤيتي على هذا النحو، اين هو الآن؟

واقتادته ليزا حتى غرفة جوني في الطابق العلوي، وهي تفكر انها تجهل كل شيء عن ماضي هذا الرجل، وشعرت بموجة من الغيرة تجري في دمها لم تجد لها تفسيراً.

استقبل جوني والده بفرح كبير وارتمى بين ذراعيه، فسحبت ليزا ستائر النوافذ كي تدخل أشعة الشمس الى الغرفة، وخرجت. كان فرايزر يحدث ابنه بصوت شجيّ ويداعبه. فارتاحت ليزا لانفعال جوني ولعودة البسمة اليه، وخرجت كي تحضّر طعام الفطور، وهي تحاول ان تضع برنامجاً لنهارها، فهي مرتبطة بموعد مع عارضة الأزياء سارة شيزهولم، ان لم تنس هذه الأخيرة موعد قياسها الأول لجلسة العمل الأولى. ووافاها فرايزر الى المطبخ وهي منهمكة في اعداد طعام الفطور. قالت ليزا بأدب:

- الفطور جاهز.

- أليست هذه طريقة لاجتذاب قلبي المتحجر؟

- لا على الاطلاق! اتصرّف حسب أدب الضيافة. في أيّ حال عن أيّ قلب تتحدث يا سيد فرايزر. يبدو انك رجل من دون قلب أو انك تغشنا، تضع قناعاً مزيفاً وخلفه تخفي وجهك الحقيقي... لكنك فشلت في اخفائه حتى انك تبعث النفور في من يعاشرك، وتحبط عزيمة المتعاملين معك. ادعوك لتناول طعام الفطور: قهوة، بيض، مربى، هذا كل ما في الأمر!

أجاب فرايزر ضاحكاً:

- كفى! قليل من الشاي يكفيني... فطورك شهيّ يا آنسة، لكنني افضل كوباً من الشاي... أقبل دعوتك هذه لانني تأكدت من حسن نيتك.

وجلس فرايزر حول المائدة وقال بسخرية:

- أنت عصبية كخالتك، هل هذا الشبه في الطباع وراثة أم انك تطبعت خلال اقامتك هنا؟

- وراثة... لا تفوق ما ورثته انت من مقدرة على الهزء من الناس بصورة دائمة. هل سيتبعك جوني؟

قالت ليزا بصوت هادىء لأنها فهمت نواياه فهو يحاول اغاظتها واثارة حنقها، فحافظت على رباطة جأشها وافشلت خطته. أجابها وهو يباشر بتناول طعام الفطور:

- طلبت من جوني العودة الى النوم، فهو بحاجة الى راحة، خاصة انه امضى ليلة مزعجة أمس.

- لم يكن سفرك سهلاً بالطبع، العاصفة قوية للغاية، ولقد نلنا نصيبنا الكافي منها هنا!

- لقد عرفت اسوأ من ذلك، لكن من حسن حظنا هذه المرّة أننا استطعنا الاقتراب من الشاطىء عندما اشتدت العاصفة، فكنا هكذا في مأمن وبوضع أفضل.

- هل كان الطقس في ليشبونة سيئاً أيضاً؟

- كلا... لكنني اضطررت الى البقاء في ليشبونة مدة أطول لاصلح المركب، ولأن هاري وسارة رغبا في اقامة سهرة مع اصدقائهما، قبل الابحار.

واضاف فرايزر بشيء من الانزعاج:

- تذكرني سارة بهولي

سألت ليزا باستغراب:

- هولي؟

- والدة جوني، سابقاً، كانت تحب السهرات، والحفلات الراقصة...

انه يتكلم عن زوجته بصيغة الماضي، اذن... السيدة هولي توفيت، ولا مجال بعد اليوم لاثارة شكوكها حول هذا الأمر. وأرادت ليزا ان تطيل جلستها مع فرايزر، لأنها شعرت انه وللمرة الاولى يتحدث عن نفسه، فسألته بلطف بالغ:

- هل يشبه جوني والدته؟

- أجل... بطرق مختلفة، الوجه والبشرة متشابهان، ثم هنالك الخوف من العاصفة والبحر.

وكان هذه الناحية من شخصية جوني تزعجه، فهو يريده ربما اكثر صلابة، تجرأت ليزا وسألته السؤال الذي طالما انتظرت الفرصة لتطرحه:

- هل كنت تحب السيدة هولي كثيراً؟

فوجىء فرايزر من سؤالها ولاح على وجهه استياء حاول اخفاءه وقال بقساوة وسخرية:

- سؤال تطرحه النساء عامة... أما جوابي فهو انني لست أدري.

- هذا غير ممكن! ألم تكن السيدة هولي زوجتك؟ ألم تتزوجها بدافع الحب، كما يفترض ان يكون الزواج عادة؟

الحت ليزا وانتظرت الجواب. فأجاب فرايزر بلهجة مشككة:

- سمعت بهذا القانون: الزواج المبني على العاطفة أو الحب. لكن لم يكن لدي الوقت الكافي للتأكد من عواطفي. عندما التقيت هولي للمرة الاولى كانت فتاة مرحة، ظريفة، وهي ابنة وحيدة لعائلة ميسورة. وكنت انا وحيداً وغريباً، وهي التي رغبت في الزواج، فوافقت. كانت هذه غلطتي الأولى، اذ رفض أهلها فيما بعد استقبالنا في منزلها.

- لماذا؟

- لم يصرّح احد منهما عن رأيه. لكنني فسرت موقفهما هذا بأنهما لا يعتبرانني زوجاً صالحاً لابنتهما، فلست بالنسبة اليهما سوى مغترب بسيط

يحاول شق طريقه في صناعة المراكب في مدينة هوبار وفي هذه الحال، لم أكن اليق، بالطبع، بابنة وحيدة تنتمي لعائلة غنية.

وعاد فرايزر لتناول طعام الفطور فبدا وجهه لليزا وقد خددته الهموم نتيجة عزمه المتواصل وسعيه الدائب لتحسين وضعه. ولم تغب عنها هذه المسحة من الفكاهة السوداء المأساوية التي احتلت هي أيضاً قسماً من وجهه والتي لا تظهر الا عندما يحاول اخفاء المه. فمهما كانت الاوضاع التي مرّ بها في تسمانيا، أو أوضاعه في اردمونت اليوم، حيث يسعى جاهداً لانجاح مؤسسته، فهو يبقى هذا الرجل المقدام الشجاع الذي تفتخر به جميع النساء دون استثناء.

وعادت ليزا الى الكلام مشيرة الى زواجه السابق، فقالت:

- ربما اعتقد أهل زوجتك، انك من صنف الرجال الذين يطمعون في مال زوجاتهم.

فرمقها فرايزر بنظرة ملؤها الدهاء وأجاب ببساطة موافقاً:

- من المحتمل ان يكون كذلك.

- وماذا جرى فيما بعد...

- موقفهما من زواجنا، اثر كثيراً على صحة هولي، وكانت غلطتنا الثانية، مولد جوني. فلم تحتمل آلام الولادة، ولم يمض شهر حتى توفيت تاركة ثروتها واملاكها لابننا.

- أمر محزن للغاية!

قالت ليزا مصعوقة لحفاظه على رباطة جأشه، فلم يظهر عليه اي انفعال على الاطلاق، بل اكمل ببرود:

- نعم... امر محزن لجوني اكثر مما هو محزن لي، فجوني لم يعرف معنى الأمومة!

أجابت ليزا بنفور:

- تريدني ان اعتقد انك لا تبالي بحضور زوجة الى جانبك؟

- ماذا تقصدين؟ بالضبط؟

- أعبر فقط عن استيائي ورفضي.

- استياؤك مني أنا؟ وماذا ترفضين؟

- استاء من حجبك الدائم لحقيقة مشاعرك، فانت لا تبوح أبداً بانك

احببت زوجتك يوماً، وارفض تظاهرك بعدم اكتراثك لحاجتك الماسة للزواج من جديد كي يكون لجوني أماً تعتني به. عزة نفسك غير المعقولة تمنعك من الظهور على شكلك الصحيح... انك تخاف ان تثير الشفقة في من حولك.

فاصفرّ وجه فرايزر فجأة ونظر الى ليزا نظرة ملؤها الحقد. خيّل اليها في هذه اللحظة، انه يتمنى صفعها بقوة، لكنه لم يفعل، بل اكتفى بالاجابة بصوت بارد:

- عليك ان تصوني كلامك يا آنسة سميث... والا وجدت نفسي مضطراً للعودة الى رأيي السابق، بأنك تريدين ان تكوني اماً لجوني، بالرغم من نكرانك لهذا الاتهام.

ذهلت ليزا لردة الفعل التي اثارتها عن غير قصد لدى فرايزر، وشعرت بثقل كبير يملأ صدرها فأضاف فرايزر بجفاف:

- شكراً للفطور ولاهتمامك بجوني اثناء سفري، أكون شاكراً لك أيضاً لو اصطحبته اليوم الى المدرسة، فلدي ما يشغلني طوال النهار على المركب. بلّغي جوني ان يوافيني الى ورشة العمل فور انتهاء اليوم الدراسي.

وخرج فرايزر دون ان يفسح لها مجالا للكلام. لحقت به مسرعة لكنه اقفل الباب بقوة، دون ان يلتفت الى الوراء ففتحت الباب ونادته بأعلى صوتها:

- فرايزر...

كانت متأكدة انه سمع هتافها، لكنه لم يتوقف، بل اكمل سيره مسرعاً، وهو يعبر نفس الطريق الذي اجتازته هي بفرح كبير عند بزوغ الفجر. وقفت عند الباب تراه يبتعد، والشمس توسطت السماء تلقي بشعاعها الذهبي على الجزر وتضفي عليها لوناً قرمزياً رائعاً.

مضت فترة الصباح كوميض البرق، وها هي ليزا تستعد الآن لمواجهة ما يتوجب عليها القيام به: موعدها مع سارة شيزهولم من أجل القياس الأول للرسوم التي وضعتها هي ونفذتها الخياطة ابنا سكوت. وأتت سارة في الموعد المحدد، وتمنت ليزا، لو تغيّر سارة مرّة طباعها ولا تأتي على ذكر رحلتها مع فرايزر لامون.

لكن أملها خاب بالطبع، فلم يمض وقت طويل على مجيء سارة، حتى

بدأت بسرد الاحداث مفصلة طوال جلسة القياس ولمدة ساعة كاملة. حاولت ليزا خلالها، ان تتكلم في موضوع آخر، لكن سارة على ما يبدو الحت على ذكر الرحلة المدهشة، والجو المثير، الذي امضته على المركب برفقة فرايزر. وأخيراً خلعت الثوب الاخير، وقالت وهي تتثاءب كقطة:

- أهذا كل شيء اليوم؟ حسناً. . . يبقى لي بعض الوقت لاهرع الى المرفأ، يجب ان اتأكد ان المركب ما زال هناك.

واتجهت الى الباب بعدما اجرت بعض التعديلات على زينتها وقالت وهي في عجلة من امرها:

- كنت اتمنى ان اعبر البحر للمرة الثانية.

- ظننت ان الملاحة لا تستهويك.

- صحيح. . . لكنني مستعدة لتحمّل اي شيء من اجل تمضية بعض الوقت برفقة فرايزر. لكنه هذه المرة رفض اصطحابي معه متذرعاً انه لا يحب رفقة النساء على المركب بل يفضل ان الاقيه في المرفأ وأنا أشع نضارة وبكامل أناقتي. فوافقت بالطبع، لأن استقبال المسافرين أمر مثير للغاية، فكيف لو كان المسافر فرايزر بالذات؟

قالت ليزا بلؤم شديد دهشت له:

- من المؤسف حقاً انك لم تتمكني من استقباله ليلة امس عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل!

أجابت سارة بدلال:

- يقع اللوم على فرايزر لأنه اخبرني انه سيصل بعد الظهر. في أي حال، أنا ذاهبة الآن لألقي عليه التحية تعويضاً عن ما فاتني في الصباح.

وخرجت سارة وتبعها صمت ثقيل ساد بين ليزا واينا سكوت، وتذكرت ليزا بحزن بالغ كيف ركضت في الصباح الباكر لملاقاة فرايزر على المرفأ، لكنها افسدت هذا اللقاء، وأثارت بينها وبينه جواً من العدائية، هل هذه طريقة لاستقبال الابطال؟

وقطعت اينا سكوت حبل تفكيرها قائلة:

- أهذه هي اذن سارة شيزهولم؟ لا يسعني القول انها اثارت فيّ الدهشة.

- انها عارضة أزياء ممتازة.

- بكل تأكيد ممتازة. لكنه تراءى لي انها بالغت في وصف رحلتها مع

فرايزر على المركب الى البرتغال.

- اينا! تعدينني بأنك لن ترددي ما سمعته اليوم من سارة. فالسيد فرايزر لامون، يشكو ما فيه الكفاية من الاشاعات التي تحاك حوله.

- اطمئني يا آنسة ليزا، لن افوه بكلمة. فليس من عادتي ان أردد الاقوال المبالغ فيها.

- أتظنين ان سارة لم تنقل الينا الوقائع كما جرت بالضبط؟

- آنسة ليزا. . . لا تقعي ضحية سذاجتك، سارة شيزهولم تعمّدت التشديد على بعض التفاصيل لاثارة غيرتك، وهذا ما تفعله النساء عادة في وضع كهذا. . . لكن باعتقادي ان فرايزر لامون لم يعاملها بشكل خاص كما تدعي. . .

وفي طريق العودة، ابحرت ليزا في بحر هائج من الافكار كانت تتجاذبها وتتقاذفها كالأمواج.

انهت جلسة عملها مع اينا سكوت، واتجهت الى المنزل ورأسها مليء بالصور المتناقضة. هل اينا سكوت على حق؟ هل تعمدت سارة فعلا اثارة غيرتها؟ وادركت انها للمرة الاولى تمرّ بحالة كهذه. . . ارهقتها هذه التحاليل. . . ان كان في نية سارة حقاً اثارة غيرتها، فهي قد نجحت تماماً. الامر اغاظها بالفعل عندما عرفت ان سارة امضت وقتاً ممتعاً برفقة فرايزر على المركب. . . ولماذا تنوي سارة اشعال غيرتها، هي ليزا، الفتاة القوية الاكيدة من نفسها؟

هل تلاقي سارة فيها خصماً؟ ما الذي دفعها للتفكير على هذا النحو مع العلم انها لم تظهر لسارة يوماً اهتمامها بفرايزر لامون؟ هل تشكل هي ليزا سميث خطراً على سارة شيزهولم؟ ما الذي اوحى لسارة بهذه العداوة؟

هل أكيدة انها لم تظهر يوماً عن اعجابها بشخص فرايزر؟ وبينما هي سابحة في بحر من التفكير لاح لها في البعيد ظلّ شخصين، فعرفت منهما سارة من شعرها الاشقر، لا شك انها برفقة فرايزر، تزور مشغله الجديد. ابطأت ليزا في سيرها واخذت تتأمل الازهار اليانعة التي نبتت على حافة الطريق، وهي تحاول ضبط افكارها والسيطرة عليها. اصحيح ان لا شيء يربطها بفرايزر؟ كيف تفسّر اذن هذا التيار الكهربائي الذي سرى في شرايينها يوم كانت ترافقه في سيارته الى منزل سارة؟ وكيف تفسّر قلقها عليه

ليلة العاصفة واندفاعها نحوه عندما رأت المركب في المرفأ؟ وكيف تفسّر حوارها العدائي معه، ولهجته القاسية معها؟ أليست هذه طريقة بعض العشاق في الكلام وهي في الواقع تخفي حباً جارفاً؟ لا! غير صحيح! انها ليست مولعة بفرايزر لامون، كيف تحب رجلا مثله؟ ألم ينكر أمامها يوماً حبه لزوجته السابقة؟ ووعدت نفسها ان تصارع عواطفها هذه، لأنها تدل على تصرف مراهق، غير جدير بشابة مثلها مستقلة، وحرة.

وفي اليوم التالي، انهمكت بأمور كثيرة، فارتاحت لانشغالها طوال النهار، ولم يسنح لها الوقت، للعودة الى تحاليلها، والى طرح الاسئلة حول نفسها وحول علاقتها بفرايزر، كما فعلت في الأمس. ها هي اليوم تواجه فجراً جديداً اذ وصلتها برقية من والدها يخبرها فيها انه قادم الى اردمونت لتمضية فترة نهاية الاسبوع برفقتها. علقت خالتها على وصول البرقية بطرافة:

- لم يتغيّر والدك ابداً، فهو كعادته يبلغ عن موعد قدومه في آخر لحظة. لهذا السبب، يجب ان تغادري اردمونت نهار الجمعة مساء، لتكوني في المطار في الموعد المحدد. اطلبي من ايزابيل ان تحضر لتسهر معي اثناء غيابك.

- لن اتمكن من الذهاب نهار الجمعة مساء، فانا مرتبطة بموعد مع بيار وايت، المصوّر الفوتوغرافي الذي يعمل مع سارة لمصلحة مجلات الموضة. وعدته بالمجيء مع اينا لحضور جلسة التصوير.

- اذا كان الطقس ممطراً، فلن تتم جلسة التصوير هذه، في أي حال، ليتدبروا أمرهم بأنفسهم لمرة واحدة دون مساعدتك. لاحظت ان ساندي في المدة الأخيرة بالغ في الاتكال عليك.

- اتكاله عليّ لا يزعجني ابداً. تعاوني معه يريحني، خاصة انه يقدر كثيراً ما أقوم به.

- حسناً. . . أرجو الاّ يطمح ساندي من خلال تعاونك معه الى وضع أفضل!

فسألتها ليزا باستغراب شديد:

- ماذا تقصدين بوضع أفضل!؟

- لربما اعتقد ساندي انك مغرمة به.

- بالطبع لا . . . ما الذي أوحى اليك بذلك؟

- تصرّفك في المدة الأخيرة. فانت تذكرينني بوالدتك عندما التقت بفرانك والدك.

الملاحظة الأخيرة التي ابدتها السيدة مود روي اقلقت ليزا، وشعرت باضطراب غريب ينتابها فجأة. فاتجهت الى النافذة، لتخفي انزعاجها حيث رأت فرايزر في ورشة العمل، يعطي ارشاداته للعمال. لدى رؤيته اشتعلت وجنتاها وشعرت بنارهما تلهب وجهها، فاخفته بيديها محاولة التخفيف من حرارته، وتمتمت باستغراب:

- ما الذي بدر مني يشير الى تصرفي الغريب؟

- ما فعلته الآن بالضبط، قمت من مقعدك فجأة واتجهت الى النافذة، دون سبب ظاهر. . . ثم خروجك بسرعة من المنزل باكراً عند الساعة الخامسة صباحاً، لا تنكري انك فعلت ذلك. هذه الاشارات تدل على وضع غير طبيعي، وأحياناً تبدأين الكلام ولا تكملينه. . . الا ترين معي، ان هذه الدلائل، هي دلائل الحب؟!

قالت ليزا بصوت خافت وهي تتكىء على النافذة:

- صحيح ان والدتي كانت تتصرف على هذا النحو؟

- تماماً بالطريقة نفسها. . . فانت ورثت عنها حبك للعطاء دون حدود اما انا فاختلف كثيراً عنكما. . . أرجو الاّ يستغل الرجل الذي تحبينه هذه الناحية فيك.

لمحت ليزا في الخارج جوني يقترب من والده، ويدعوه الى السير خارج ورشة العمل ثم ابتعدا على مهل، وليزا تراقبهما من نافذتها، فسألت خالتها بصوت جاف:

- باعتقادك ان والدي، استغلّ هذه الناحية في شخصية أمي؟

انها تحب والدها كثيراً، وتربطها به علاقة مميزة، ولا تحتمل ان يوجه احدهم النقد اليه. فأجابت خالتها بلهجة لطيفة:

- لم أقصد اتهام والدك بأي شيء. . . اردت فقط تحذيرك من صنف الرجال الانانيين.

وفي اليوم التالي، ابلغت ليزا ساندي اعتذارها عن حضور جلسة التصوير في منزل سارة شيزهولم، فوافق على الذهاب بدلا عنها، قائلا:

ـ أفعل اي شيء لأجلك، السنا شركاء؟ ومن واجبي ان اتقاسم معك واجبات العمل.

ـ لكننا لم نصبح شركاء بعد.

ـ بالفعل! غير انني اتمنى ان تأخذي قراراً في أقرب وقت، تعرفين ان تعاونك معي يريحني للغاية، لولا اندفاعك وحيويتك لما تجرأت على أخذ المبادرات الشجاعة.

وابتسم ساندي بخجل، موحياً لليزا بحاجته الماسة اليها، وشعرت انه يعاني من فقدان الثقة بنفسه، فتمنت لو باستطاعتها احياء الشجاعة فيه دائماً. تابع ساندي حواره معها، مشيراً بالحاح الى اهمية حضور ليزا الى جانبه، فقال:

ـ قبل قدومك الى اردمونت يا آنسة ليزا، كنت أعيش في جوّ يائس. فقدت الآمال بكل شيء بعد فشلي على الصعيد العاطفي والمهني. وانت احدثت تغييراً هاماً جداً في حياتي.

ـ صحيح؟

قالت ليزا بارتباك وهي تسأل نفسها، كيف سينتهي حوارها مع ساندي وبأية طريقة وكيف ستجد منفذاً للدخول في موضوع آخر. وكأن السماء استجابت لطلبها فدخلت في هذه اللحظة الخياطة اينا سكوت بخطى رشيقة وهي تحمل معها ثوباً من قماش التويد، قالت وهي تعرض الثوب على ساندي وليزا:

ـ هذا الثوب جاهز. احببت ان أعرضه عليكما قبل الآخرين.

ونظرت اينا الى كل من ساندي وليزا نظرات فضولية كأنها شعرت بتوتر الجوّ بينهما، فأجابت ليزا على الفور:

ـ رائع جداً، سيكون قطعة فنية نادرة على جسم سارة!

ـ اعدّ الثواني لأرى هذا الثوب على سارة. في أية ساعة عليّ ان أجهّز نفسي غداً لموعد جلسة التصوير؟

شرحت لها ليزا انها ستضطر للغياب غداً، لكن ساندي سيحلّ محلها، ففرحت اينا لهذا الخبر، وقالت بانشراح:

ـ شرف كبير لي ان يرافقني مدير مصنع أقمشة التويد في اردمونت، في زيارتي الاولى الى آل شيزهولم، كم أنا محظوظة بالفعل!

اغتنمت ليزا فرصة حضور اينا مع ساندي، وتسللت خارج الغرفة، شاكرة حظها هي أيضاً، لانسحابها في الوقت المناسب فلقد وفرت عليها اينا حواراً خطيراً ودقيقاً كان قد باشره ساندي لويس.

٦- رحيل الخالة

قامت ليزا باكراً للذهاب الى المطار. الطقس بدا مائلاً الى الحرارة والدفء، مع اقتراب شهر آذار (مارس) لكن الهواء البارد ما زال يصفر بقوة عبر الجزر والتلال.

وصلت الطائرة في موعدها المحدد، وهرعت ليزا لملاقاة والدها عبر الممر الذي يفصل المسافرين عن غرفة الاستقبال. لم يتغيّر السيد سميث كثيراً، فهو ما زال قوي البنية، صلب العود، بالرغم من الشيب الذي كسا جزءاً من شعره. وما زالت قامته الطويلة، تلفت الانظار، خاصة ان الشمس لوحت وجهه نتيجة اقامته الطويلة في جامايكا فزادته جاذبية ورجولة.

لدى رؤيته ليزا، تلوّح له أسرع نحوها، وحضنها بذراعيه القويتين.

ثم اتجها الى المركب الذي سينقلهما الى الجزيرة. كانت الرؤية حسنة، والجبال المكسوة بالثلوج تظهر في البعيد جليلة، فتزيد المنظر روعة وسحراً.

وكان فرانك، والد ليزا، متحمساً للغاية فلم يتوقف عن الكلام طوال الرحلة، انما اخبرها الكثير عن رحلاته وسفره عبر البلدان التي زارها أخيراً فاطلعته هي بدورها عن قلقها على صحة خالتها مود التي بدأت تتدهور في المدة الأخيرة، كما اطلعته على مدى التوتر الذي تعاني منه السيدة المريضة من جراء قلقها المزمن على منزلها.

سألها والدها:

- ولماذا تقلق مود على منزلها؟
- ستعرف السبب لدى وصولنا!

لم يطلب السيد فرانك مزيداً من الايضاح، بل اكتفى بمشاهدة المناظر

التي تحيط بالجزيرة من كل صوب، وفجأة صعق لرؤيته ورشة البناء التي تقام بمحاذاة بيت الخالة مود، فصاح مدهوشاً:

- يا الهي. . . يبدو ان مالك حوض السفن، بدأ ورشة توسيع مساحته على قدم وساق. ويبدو انه يهتمّ أيضاً بتصليح السفن وترميمها. انظري الى المركب الذي يتمّ بناؤه الآن. . . من يدير هذه المؤسسة اليوم؟
- رجل يدعى لامون.
- ما زالت العائلة نفسها هي التي تدير شؤون هذه المؤسسة بالطبع، ليس شارل لامون الذي يتولى ادارتها. اذكر انه توفي منذ عشرين سنة. كان رجلا طيباً، خدوماً، لكنه فشل في عمله، نتيجة قلة مراسه في هذا الحقل. كنا نستأجر - والدتك وأنا - مركباً منه لنزهة عبر الجزيرة وكان له ولد شجاع ومميز لا يخاف شيئاً على الاطلاق. ويهوى الملاحة بشكل خاص!
- وما زال حتى اليوم يعشق الملاحة دون سواها. . . هذا هو الشخص، «اللامون» الذي نحن بصدده، ستخبرك خالتي المزيد عنه!

وفي المساء جلست العائلة قرب المدفأة، وامضت الخالة مود طوال السهرة وهي تخبر صهرها، السيد فرانك سميث، عن القلق الكبير الذي يسببه لها فرايزر لامون، لقيامه بورشة بناء بمحاذاة منزلها. وأضافت:

- لست ادري ماذا يخطط الآن؟ كأنه يهيء لعبة جديدة، كلعبة الفأر والهر.
- أفهم قلقك يا مود على منزلك. حسناً، سأذهب لمقابلة السيد لامون في القريب العاجل. لكنني أخشى ان نكون قد تأخرنا، فهو باشر في توسيع مساحته، ولن يمكننا، ربما، تعطيل مشروع تطوره.

فأجابت السيدة مود بحنق بالغ:

- هل تسمي هذه المشاغل المقيتة تطوراً؟
- صحيح، ان المشاغل التي بناها تشوه المناظر الطبيعية التي تحيط بالجزيرة. لكن لا خيار له، فهو مضطر لمجاراة العصر، وشخصياً اجد هذا الرجل شجاعاً، لانه عاد الى اردمونت ليحيي فيها مؤسسته في وقت اصبحت معه صناعة السفن والمراكب ذات شأن، فهو بهذه الطريقة يؤدي خدمة للأملاك العامة، ولأهل الجزيرة، مفسحاً في المجال للعمل.
- ليفعل ما يريده، لكن ليس على حساب راحتي. لقد شوّه عليّ المنظر

الذي اعتدته منذ سنوات طفولتي وبدأ يحفر اساساته في محيط منزلي، حتى اضطرت ليزا أخيراً للجوء الى فكرة شراء المنزل المجاور لتمنعه من التوسع اكثر!

فسأل السيد سميث بصوت لعوب:

ـ حقاً؟ ومن أين لليزا المبلغ الكافي لشراء المنزل المجاور؟

اجابت ليزا بوضوح:

ـ كنت ساقترضه منك.

ـ أنت أيضاً، تحاربين هذا «اللامون»؟

تمتمت ليزا بارتباك ظاهر:

ـ أنا... أنا...

ولم تتمكن من الاجابة على سؤال والدها الذي رمقها بنظرة مداعبة، لعوب، وخالتها، حدقت بها باهتمام، فثارها بالطبع، امر ارتباك قريبتها، وادركت ليزا في الحين، انه لن يمكنها البوح بحقيقة مشاعرها تجاه فرايزر، لا لوالدها، ولا لخالتها، فامتقع وجهها وقالت بعصبية:

ـ ساحضّر الشاي.

مجيء والدها الى اردمونت ادخل الفرح والطمأنينة الى قلبها. فهو بالرغم من اسئلته الكثيرة التي لا مفرّ منها، وبالرغم من ادراكه المفاجيء لبعض الأمور يتمتع بروح هادئة كريمة، ولديه نظرة متسامحة ومتساهلة في الحياة، وكل شيء يبدوله جديراً بالاهتمام. رافقته ليزا، الى مصنع اقمشة التويد، حيث عرفته بساندي لويس، وبالخياطة اينا سكوت.

وبينما كان ساندي يتبادل اطراف الحديث مع والدها جرى الحوار التالي بينها وبين اينا، فقالت هذه الأخيرة، بحماس بالغ:

ـ كانت سارة على حق، فمنزلها هو فعلا المكان المناسب لاخذ الصور الفوتوغرافية. كانت جلسة التصوير ممتازة وستكون الصّور كذلك بالطبع، مرّ بنا السيد لامون، يرافقه ابنه. ودخل علينا ونحن منهمكات في العمل... فبدا مهتماً للغاية لما يجري... آنسة ليزا... كان العمل مدهشاً... وهو في غاية الرقة واللطافة... يكفي ان تعاشره عن قرب!

ـ من هو؟ السيد لامون؟

ـ نعم فهمت الآن لماذا سارة معجبة بالسيد لامون، فهو بالتاكيد، محط

انظار جميع النساء، لتميزه عن سواه، بقوة داخلية خاصة!

ـ انت بالطبع، لست من بين النساء اللواتي يعجبن به؟

ـ لا ابداً... ليس السيد فرايزر من الصنف الذي يجذبني. فأنا احبّ الرجل الرقيق، الذي يعاملني بحذر، كأنني جوهرة ثمينة... حتى لو لم اكن كذلك فعلاً. بالأمس كنت سعيدة للغاية لأنني حظيت بالمعاملة التي ارغب بها.

وادركت ليزا ان اينا، دون شك مولعة بساندي، لاحظت ذلك لبريق الحب في عينيها، وفي صوتها، وتمنت لو ان ساندي يحسن معاملتها، دون ان يدخل الالم الى قلبها، لأنها رقيقة المشاعر، وحساسة.

واذا بساندي يطلّ عليهما، ويكلمهما عن فكرة راودته بخصوص صدور الصور في مجلات الموضة. فهو يرى انه من المستحسن ان يرافق الصور كراس خاص عن مصنع الاقمشة. سألت ليزا على الفور:

ـ وهل سترضى سارة ان تعرض لنا المعاطف الجلدية أيضاً؟

أجاب ساندي بتوتر:

ـ لست ادري فهي لم تعدنا بشيء أكيد، لانهماكها طوال الوقت بمغازلة المصوّر ولم تكتف بهذا التصرف الأرعن بل عندما أطل علينا فرايزر، تصرفت كالحمقاء.

سألت ليزا بابتسامة خفيفة:

ـ وكيف تصرف فرايزر؟

ـ كان غير مبال بها... حتى ان جوني زاد من الطين بلة فرفس سارة، عندما انتبه لغيابك.

استغربت ليزا تصرّف جوني على هذا النحو، فسألت بفضول:

ـ لماذا تصرف جوني كذلك؟

ـ في أيّ حال انا أوافقه على ما فعل... نالت سارة ما تستحقه، خاصة انها ابدت رأياً خاطئاً عنك.

ـ وماذا قالت بالضبط؟

ـ حماقات! تدّعي انك تهتمين بجوني لاغواء والده. طبعاً لم يوافقها أحد في الرأي... وأخيراً وبّخ فرايزر ابنه، وخرجا معاً... أينا وأنا خرجنا لنأخذ الشاي.

وأضاف ساندي بخجل:

- أدعوكما انت ووالدك لنزهة نهار الأحد، هل توافقين؟ لدي شيء هام اود ان أصارحك به!

شعرت ليزا بخطورة الموقف، ورددت في قلبها «لدي شيء هام»... وما هو هذا الشيء الهام الذي يستوجب حضورها نهار الأحد؟ وأحست كأنها عصفور يدافع عن حريته، وابتسمت لأنها لأول مرة تسمع ساندي يقول «اينا وأنا» وكم بدت لها هذه العلاقة طبيعية، لكن على ما يبدو ان ساندي لا يعيرها انتباهاً خاصاً، فتسلحت بذكائها وواجهته قائلة ببساطة:

- ولماذا ننتظر نهار الأحد؟ لمَ لا يكون الآن؟

أجاب ساندي بحيرة:

- لا أريد ان اصارحك بحضور آخرين لربما سمعنا احدهم. ليزا... ما أود ان أقوله لك... هو في غاية الجدية بالنسبة اليّ... وأرجو ان يكون كذلك بالنسبة اليك انت أيضاً.

وفي طريق العودة الى المنزل، استقلت ليزا سيارتها، لكن والدها تولى القيادة. فلم تستطع ان تبعد عنها ما قاله ساندي بل تذكرت ما نوّهت اليه خالتها مود منذ أيام، عندما اشارت الى علاقة العمل التي تربطها بساندي والتي ستوحي له بالطموح الى «وضع أفضل». هل يا ترى يريد مصارحتها بهذا «الوضع الأفضل». أي الزواج؟ فهو يظن نفسه مغرماً بها لأنها مدت له يد المساعدة، ويعتقد بالتالي ان لا بديل لها في مصنعه. وبينما هي سارحة في افكارها كعادتها تحلل، وتحكم على احداث اليوم، خاطبها والدها قائلاً بعفويته المعهودة:

- ساندي رجل لطيف... لو يجد المساندة اللازمة له، لحقق نجاحاً كبيراً على صعيد عمله.

- ومن برأيك هو الشخص الذي يناسبه.

- ربما تلك الفتاة السمراء التي كانت في المصنع.

- تقصد اينا؟

- نعم. طبعاً الا اذا كنت ترغبين أنت بالزواج منه.

- لا، ابداً... فأنا لا أتزوج الا بدافع الحب.

فقال السيد فرانك مداعباً:

- ولم تجدي بعد الشخص الذي يناسبك. اعرف الصفات التي تحبينها في الرجل، فانت تريدينه قوياً عاشقاً، لينجح في اسعادك.

واضاف والد ليزا بشيء من الجدية:

- الحب شرط أساسي لزواج سعيد. فانت لم تخطئي في هذا المجال، لكن احذري ميولك الاستقلالية، فلربما حجبت عنك الرجل الذي يلائمك عندما يأتي في الوقت المناسب.

وفجأة لاح لهما، جوني على بعد مئة متر، وهو يتمشى على قارعة الطريق فقالت ليزا بدهشة:

- هذا جوني لامون!

اوقف السيد فرانك السيارة جانباً، وفتح الباب لجوني بلطف، فلبى جوني الدعوة فرحاً وقال:

- آنسة ليزا... أحمل معي شيئاً خاصاً لك. تفضلي هذا ما رسمته اليوم في المدرسة من أجلك.

- شكراً لك يا جوني. أين كنت؟ أرجو الاّ تكون قد اثرت عراكاً آخر، لماذا ثيابك منبوشة على هذا النحو؟

فابتسم جوني وأجاب:

- كلا، لم اتعارك مع أحد هذه المرة، انما تمرغت على العشب أنا وصديق لي، يدعى جايمي يعمل والده في الورشة عند أبي.

استدار فرانك على مقعده الامامي، ليلقي نظرة خاطفة إلى جوني، ومدّ يده على سبيل التعارف، قائلاً:

- سررت للقائي بك، فأنا اعرف والدك مذ كان صغيراً.

تجاوب جوني مع فرانك، فمدّ يده مصافحاً وقال بفضول:

- كم كان لابي من العمر عندما عرفته؟ فأنا اليوم، بلغت السابعة.

- كان في الحادية عشرة من عمره أو ربما في العاشرة.

- وهل ذهبت اليوم لزيارته؟

- لا لم أفعل بعد، لكنني سازوره قريباً. احبّ ان ارى المراكب في مرحلة ترميمها.

- لو تأتي معي الآن، فساريك كل شيء؟ وانت يا ليزا، لو ترافقيننا!

فرفضت ليزا عرض جوني الحماسيّ والعفويّ بهدوء، مجيبة:

ـ لا! ليس الآن. . . في وقت آخر اوافقك. . . يمكنك الذهاب مع أبي. وأشكرك مرة ثانية للرسم الذي حملته لي. . . ازهار النرجس التي لونتها رائعة.

وصلت بهم السيارة الى حوض السفن، فترجل منها جوني يرافقه السيد سميث. قال جوني وهو يبتعد:

ـ دعي خالتك مود، ترى رسمي!

واقلعت ليزا بسيارتها متجهة الى المنزل. لم تشأ مرافقة والدها وجوني الى حوض السفن، لأنها تخاف اولا ان ترى فرايزر مجدداً، وثانياً لأنها تعرف ان والدها يود محادثته على انفراد. وامضت طوال المسافة التي تفصلها عن بيت خالتها وهي تقنع نفسها ان ما تشعر به تجاه فرايزر وبحضوره خاصة، ليس الا حالة عابرة، مجرد اعجاب بسيط، طبيعي، يزول مع زوال فصل الربيع. . . وفي هذه الاثناء فهي تفضل ان تتقيد بالحذر والتعقل. انما الامر الوحيد الذي يقلقها هو المحافظة على صداقتها لجوني، دون ان يتذمر والده

وبعد ساعات عاد فرانك سميث منشرحاً ودخل تواً الى غرفة الخالة مود ليطلعها على نتيجة زيارته لفرايزر لامون.

ـ في الواقع يا عزيزتي مود لا أفهم لماذا تبغضين فرايزر لامون؟ وجدته ذكياً متعقلا، وطموحاً، يعرف تماماً ماذا يريد، والى أين سيؤدي به اندفاعه وحماسه، فهو ليس بحاجة لمن يقويه ويشجعه.

أجابت مود بلهجة قاسية:

ـ بالعكس! انه بحاجة لمن يردعه، ويضع حداً لاطماعه في امتلاك أراضي اردمونت.

ـ لست من رأيك فأنا اعتقد انه بحاجة لمساحة معينة تسمح له بتوسيع مؤسسته. وعندما يحصل عليها، لن يطلب المزيد!

وحاول فرانك ان يوفر على نفسه مشقة الجدال مع الخالة مود حول موضوع فرايزر لامون، فاشعل غليونه وبدأ يهتم بحشوه من تبغه الخاص. لكن الخالة مود، لم تكتف بما سمعته من فرانك، ولأنها لم تقتنع بالطبع، عادت لتثير الموضوع من جديد فسألت فرانك بتذمر:

ـ لا استغرب ابداً دفاعك عنه، انما احب ان اعرف ماذا قال لك بالضبط؟

ـ اطلعني على أسلوبه في العمل. فهو يستعمل مادة الزجاج، كما يعتمد الاسلوب التقليدي في بناء المراكب. احد المراكب التي يعمل عليها حالياً، ستشترك في السباق لعبور المحيط الهادىء. اذا أحرز نجاحاً، وفاز بالسباق، يكون قد اطلق اسم مؤسسته اطلاقة ممتازة!

ـ كل هذا الذي تخبرني به لا ينفعني شيئاً. . . ما هو موقفه الآن من املاكي وبيتي؟

تنهد السيد سميث بأسف وأجاب:

ـ لم افاتحه بعد بهذا الموضوع. لم أجد الوقت مناسباً للدخول في بحث كهذا. . . فقد بدا منزعجاً عندما كشفت له عن هويتي.

والقى السيد سميث نظرة خاطفة على ليزا فاحمرّت وجنتاها دون سبب ظاهر.

وأضاف السيد سميث بلهجة مقنعة:

ـ لا تقلقي يا مود، سأزوره مرة ثانية. ابنه جوني لا مثيل له في اللطف والذكاء لكنه بحاجة ماسة الى ام تعتني به.

فأجابت مود بقسوة بالغة:

ـ هنالك الكثير من امثاله يتولون امر الاعتناء بأولادهم!

ـ صحيح! لكن فرايزر يبدو تعباً من هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه.

فسألت ليزا باندفاع:

ـ لماذا؟

ـ لاحظت انه بدأ يفقد صبره في التعامل مع جوني. . . ربما هذا يعود لهمومه الكثيرة.

وفي الأسبوع التالي زار فرانك مشغل لامون فرايزر، فكان مندهش للطريقة التي يجري فيها العمل. فرايزر يمضي ساعات طويلة يراقب بدقة وباهتمام، عملية التنفيذ.

وفي اليوم التالي، التقت ليزا بسارة في مصنع الاقمشة، ولم تكف هذه الأخيرة عن ذكر علاقتها الحميمة بعائلة لامون، وكانت تتكلم بلهجة منفعلة، ومضطربة، مما دعا ليزا للتساؤل عن السبب. ولم يطل تساؤلها، فكان تعليق اينا على تصرف سارة بعد رحيلها كافياً، اذ قالت اينا:

ـ سارة منفعلة للغاية اليوم، لأنها ادركت في جلسة التصوير السابقة في

منزلها، ان جوني يميل اليك انت، وهذا يهدد سعيها للزواج من فرايزر. . . فاذا كرهها جوني، ستفشل جميع خططها.

ابتسمت ليزا وأجابت بهدوء:

ـ ما لنا ولها. . . ولهذه الحماقات. . . انا لم أر عائلة لامون منذ وقت طويل.

لكن بالواقع هل كانت ليزا تقول الحقيقة، هل مضى فعلا وقت طويل على غيابها عن عائلة لامون؟ لا يسعها ان تقول لاينا انها كانت تجد دوما الفرص المناسبة لتلتقي بفرايزر، سواء راقبته من نافذتها، ام خرجت لتنتزه كلابها. وفي احدى المرّات تجرأت ومرت بمحاذاة ورشة البناء. فلمحته يخاطب العمال على المركب وكأنه شعر بحضورها فاستدار فجأة في مكانه مستغرباً، ولكنه ما لبث ان عاد الى حديثه.

وكان الدنيا فجأة هبطت بكل ما فيها على رأسها، واحست بثقل رهيب يطنّ في صدرها، ويجري في عروقها ووعدت نفسها بأنها لن تعيد الكرة ثانية، ولن تسمح لعواطفها الجيّاشة ان تخونها، وتعرضها للتجربة.

وأخيراً. . . حان وقت موعدها مع ساندي، موعد الشيء الهام، الذي يرغب في مصارحتها به، فكان كل همها في هذا النهار هو كيف تمنعه من البوح باسراره. لذا شرعت تحدثه عن علاقة سارة شيزهولم بفرايزر لامون. وكانت من وقت لآخر، تلقي نظرة خاطفة اليه فتراه سابحاً في افكاره كأنه لا يسمع وعيناه تحدقان بالتلال البعيدة وقالت:

ـ لا شك ان سارة لا تحسن التعامل مع جوني.

انتفض ساندي فجأة وقال بانفعال:

ـ لو نتحدث في موضوع آخر. . . هناك بعض المارة غيرنا يتقدمون ناحيتنا.

استدارت ليزا في مكانها، لتستطلع هوية المارة، فبان لها فرايزر في البعيد، يتنزه برفقة سارة، وجوني يعدو حولها، ويلهي نفسه برمي الحصى في البحر. ولدى مشاهدته ليزا وساندي يتقدمان نحوهم هرع جوني نحو ليزا، وهو يقفز فرحاً، وبدأ يعرض عليها أنواع الاصداف التي جمعها على الشاطىء. وعندما اقترب منهما فرايزر وسارة، القى فرايزر السلام بصوت بارد واكمل سيره، بينما توقفت سارة لترغم جوني على متابعة النزهة

بصحبتها هي ووالده، فقالت بصوت مصطنع:

ـ جوني حبيبي، أرجوك لا تزعج الآنسة ليزا بهذه الحماقات. فهي تتنزه برفقة السيد لويس. . . تعال واتبعني.

اجاب جوني بتذمر:

ـ من قال لك ان اصدافي تزعجها؟ فهي لا تزعجها ابداً.

تأثرت ليزا لجواب جوني الذي كاد ان يشرف على البكاء، لانزعاجه من ملاحظة سارة الخاطئة. وقالت بتأثر اعمق:

ـ انت على حق يا جوني، اصدافك لا تزعجني ابداً، بالعكس.

فالحت سارة عليه لمرافقتها:

ـ هيا جوني، ولا تتأخر!

اغتاظ جوني، وأجاب بحنق:

ـ لا لن الحق بكما. . . أريد ان ابقى مع ليزا.

تدخل ساندي بلهجة لطيفة:

ـ لا يمكنك متابعة النزهة معنا، فنحن نسير بالاتجاه المعاكس.

أجابت سارة ساندي بسخط:

ـ عليكما اذن ان تغيرا اتجاهكما، فتحلّ المشكلة، ويكون جوني راضياً.

ـ حسناً! هل من مانع لديك يا ليزا؟

ابتسمت ليزا موافقة وقالت:

ـ لا ابداً يمكنكما السير أمامنا، وجوني وانا سنتبعكما على مهل.

ومشى ساندي الى جانب سارة، بينما اصبح فرايزر في المقدمة، وجوني وليزا يسيران في المؤخرة، ارتاحت ليزا لهذا الحل، اذ وفرت على نفسها مرة ثانية، مشقة الاستماع الى ساندي وابتهج جوني أيضاً، لحضوره معها وقال مبتسماً:

ـ ها انني ربحتك لي وحدي! سنفيد من هذه الفرصة لنبحث عن السراطين سوياً.

اقنعته ليزا ان الوقت لن يسمح لهما بذلك، وفي موعد آخر سيقومان بنزهة اخرى باكراً. وفي طريق العودة، الى المنزل، كان فرايزر ينتظرهما وحيداً أمام بيت ساندي لويس ويبدو عليه الغضب والانفعال الشديد:

ـ تأخرتما في العودة. . .

لم تشأ ليزا ان تعكر جوّ هذه المناسبة التي جمعتهما ثانية، فقررت ان تظهر لطفها، وتخبىء انفعالها، فقالت بهدوء:

- اين ساندي وسارة؟
- يدعوك ساندي لتناول الشاي في منزله. وهو ينتظرك مع سارة هناك.

سأل جوني بحماس بالغ:

- ونحن يا ابي، هل ستوافيهما أيضاً؟
- كلا! رفضت دعوة ساندي، بسبب تصرفك السيء بعد ظهر اليوم.

التمعت دمعتان على وجنتي جوني، واكتفى بالاحتفاظ بالصمت.

فقالت ليزا برقة بالغة:

- لو نذهب معاً، فالسيد لويس وزوجته، سيفرحان لقدومنا، ولحضورك انت وجوني خصوصاً.

اجاب فرايزر بلهجة ساخرة وجافة:

- لا أوافقك الرأي يا آنسة ليزا، في أي حال لا اعتقد ان السيد لويس سيكون راضياً لزيارتنا له... فأنا اذهب حيث يكون قدومي مرغوباً. تصبحين على خير يا آنسة. تعال جوني... هيا!

تردد جوني في اللحاق بوالده والقى نظرة استغاثة وأمل الى ليزا فازداد فرايزر غيظاً وانفجر صارخاً:

- جوني! تعال!

اطرقت ليزا بحنان:

- اتبعه... جوني... هيا... لا تتركه يعود الى المنزل وحيداً.

وخضع جوني لمشيئة والده مستسلماً، فودع ليزا بحزن، ومشى. تمنت في هذه اللحظة لو بامكانها مرافقتهما، بدلاً من تلبية دعوة ساندي الى الشاي.

واسرعت في سيرها وهي تتساءل لماذا تخلّت سارة عن فرايزر بسهولة خلال النزهة بعد ظهر اليوم على الشاطىء، ورافقت ساندي حتى المنزل؟ الهذا بدا فرايزر متوتراً ومنفعلا؟

وانضمت ليزا الى ساندي وسارة وصورة جوني لا تفارقها. كانت الجلسة عند ساندي، مزعجة للغاية، نظراً لما ابدت سارة من عدائية تجاهها، وهذا الأمر ادخل الحزن الى قلبها، وفكرت بالرجوع الى المدينة مع

والدها حين يحين موعد رحيله، لربما بهذه الطريقة تفسح في المجال لها للاختلاء بفرايزر، وللتقرّب من جوني. لكن لماذا تعود دائماً هذه التساؤلات الى فكرها؟ سارة وفرايزر؟ ساندي؟ اينا؟ وهي؟ ما هذه السلسلة من الوجوه؟ وكيف تترك هي اردمونت من اجل ارضاء سارة؟ انها تريد البقاء في اردمونت.

ولم يمض وقت طويل، على زيارتها الاخيرة لساندي حتى تعرضت خالتها مود لنوبة قلبية خطرة استوجبت حضورها هي ووالدها الى جانب السيدة المريضة.

ومضى شهر آذار (مارس) على هذا النحو. ولم يفكر احد منهما مغادرة اردمونت على الاطلاق. الخالة مود تلازم فراشها ليلا ونهاراً، وليزا ووالدها يتناوبان السهر عليها، حتى شعر كل منهما، بحاجته الماسة الى الراحة، بعد التعب والتوتر الذي سببته حالة مود المتدهورة، والطقس في الخارج لا يدفعهما الى الخروج للتنزه، فهو ممطر والسماء ملبدة بالغيوم، والهواء يعصف من كل جانب.

وفي يوم ممطر، عاصف، جلست ليزا، مع والدها، في الدار الصغير، يستمعان الى مقطوعة موسيقية لعلهما يسترخيان. ولم يمض على جلوسهما مدة طويلة حتى قرع الباب، بعصبية. فهرع فرانك باستغراب كبير، وهو يتمتم:

- من هذا المجنون الذي خرج في يوم عاصف وممطر كهذا؟

وعاد بعد دقائق، وهو يحضن ولداً بين ذراعيه. فذعرت ليزا لدى مشاهدتها جوني يرتدي معطفاً مبللا، والدموع تكرج على وجنتيه. وهو ما زال في ثياب النوم.

قال والدها بدهشة كبيرة:

- هذا الولد يريد مقابلتك... لديه ما يقوله لك!

هرعت ليزا الى جوني وسألته بلطف:

- جوني! ماذا جرى؟ اخبرني؟

فأجابها جوني باكياً:

- ... تركت البيت!

وجلست الى جانبه تهدىء من روعه بينما اهتمّ فرانك بتغيير ملابسه

المبللة، وتبديلها بثياب جافة واسرعت ليزا بتحضير كوب من الحليب، حملته اليه قرب المدفأة، وسألته بحنان:

- هل عاقبك والدك على أمر ما؟

اجابها جوني:

- لا!
- اذن، لماذا هربت من المنزل؟
- كي اعاقبه!
- تعاقبه؟ وماذا فعل؟
- يريد السفر من جديد، وسيغيب لمدة اسبوع كامل.

وكان جوني يرتجف حزناً، وليزا تحاول ان تخفي قلقها عليه، فسألته بلطف:

- الا تريده ان يسافر؟
- لا! انا اكره البحر... واريده ان يفعل شيئاً آخر.

تدخّل السيد فرانك بهدوء:

- لكنّ البحر مهنته، فكيف تريده ان يغيّر مهنته، وهو يصمم المراكب والسفن، ويعشق الملاحة... هذا باب رزقه الوحيد الذي يسمح له الاعتناء بك، والسهر على تربيتك... لن يفعل شيئاً آخر حتى يرضيك فقط.

نظر اليه جوني، محاولا فهم معنى هذا الذي قاله والذي بدا له كخطاب يتلوه الواعظون.

- لا ارفض السفر معه، انما هو الذي لا يرغب في اصطحابي.

وأضاف وهو يجهش بالبكاء:

- حجته الوحيدة، هي المدرسة، فهو يقول انه يجب عليّ الاهتمام بدروسي، ومن أجل ذلك سيجد من يسهر عليّ في غيابه، طلبت ليزا لهذا الغرض... فغضب مني وارسلني الى الفراش... ولهذا السبب تركت البيت.

اجابه فرانك بقساوة مخففة:

- لم تذهب بعيداً... اطمئن...

احتمى جوني بليزا شارحاً بخجل:

- كان الطقس ممطراً وعاصفاً، فاخافني الهواء... وجئت لارى ليزا...

ابتسمت له ليزا مشجعة:

- احسنت يا جوني.

وعادت اليها في هذه اللحظة كلمات ساندي، عندما اشار بأن فرايزر بحاجة الى اصدقاء من حوله اكثر من أي وقت مضى... وتصوّرته الآن في المنزل وحده من دون جوني... ماذا سيفعل؟ فقالت لجوني بهدوء، دون ان تقسو عليه:

- الا ترى انه يجب علينا الاتصال هاتفياً بوالدك لتعلمه بوجودك هنا، لربما قلق عليك.

واتجه فرانك الى الهاتف بينما اكمل جوني حواره مع ليزا، مفسراً لها الاسباب التي دفعته ليحقد على والده وقال بصوت مرتجف:

- اعرف انه سيغضب كثيراً لخروجي من البيت في هذه الساعة، لست ادري ماذا طرأ عليه؟ فمنذ عودته من البرتغال وهو يتصرف بعصبية... انني اسأل نفسي احياناً ان كان ما زال يحبني؟ ولعله يتمنى غيابي لأن حضوري يزعجه.
- لا يا جوني، لا تقل ذلك... أنا متأكدة انك مخطىء.

واستغربت ليزا ثقتها الكبيرة بنفسها. وأضافت:

- ربما هناك ما يجعله سريع الانفعال.

لم يجاوب جوني، بل غاب نظره في النار المشتعلة في المدفأة، وأخذ يصف اشكالها لليزا، ولم يشعر بمرور الوقت، حتى فتح الباب فجأة عليهما، ودخل فرايزر، بينما توارى فرانك عن الانظار.

وقف فرايزر في وسط الغرفة، وهو يلهث من التعب كأنه قطع المسافة جرياً، وجهه شاحب اللون وعيناه تقدحان شرراً. قال وهو ينظر الى جوني متجاهلا حضور ليزا تماماً:

- جوني، لماذا خرجت من المنزل؟
- لأزرع في قلبك الخوف!

وانفجر جوني باكياً وارتمى بين احضان والده. فضحك فرايزر بهدوء، واجاب ببساطة:

ـ لقد نجحت في اثارة خوفي عليك.

وجلس فرايزر على مقعد خشبي صغير، وهو يخاطب جوني برقة:

ـ هيّا، اشرح لي الآن، سبب تصرفك هذا؟

ـ لأنك لم ترض ان ابقى مع ليزا اثناء غيابك، وانت تعلم جيداً، انني عندما أكون بصحبتها احتمل اكثر فكرة سفرك.

نظر فرايزر الى ليزا نظرة مشككة فاجابته بصوت خافت يحمل تأكيداً:

ـ لماذا لم تقترح عليّ البقاء مع جوني؟

اجاب هامسا وهو يحدق في عينيها:

ـ انت تعرفين السبب.

ثم اخذ يتفحص وجهها بلهفة، فشعرت وللمرة الثانية وكأنه يلامسها.

فشعرت ليزا بدوار غريب وكأن غشاء حجب عنها وضوح الرؤية تلاشت أوصالها والتجأت الى أقرب مقعد وجدته أمامها، واذا بها جالسة مباشرة بالقرب منه ويكاد وجهها يلامس وجهه، فاسندت ظهرها الى كرسيها مبتعدة عنه قدر الامكان وقالت بصوت مضطرب:

ـ اعتقد انك تخشى ان تكون مديناً لي بهذه الخدمة.

اجابها فرايزر بشيء من الغموض، وهو يشيح بنظره عنها:

ـ اجل، هذا ليس سوى جزء من الحقيقة.

ـ الى اين انت مضطر السفر؟

ـ اريد الاشتراك في مؤتمر مجهزي السفن ويجب ان أمر بشريك لي في هولندا.

ـ وهل سيطول غيابك؟

ـ عشرة أيام.

ـ ألا تقلق على جوني؟

فاجابها فرايزر بعصبية مفاجئة:

ـ انت تجهلين مدى قلقي عليه.

ـ ومع هذا لم تعدل عن سفرك!

ـ كنت على وشك ان أفعل هذه المرة، نظراً لردة فعل جوني العنيفة، مع العلم انني لو بقيت، لخسرت الكثير على صعيد عملي...

ـ انت مستعد لأي شيء كي لا تضطر الى طلب مساعدتي.

غضّ فرايزر طرفه عنها، وتدخل جوني في هذه اللحظة، بعدما تابع حوارهما بشغف كبير وقال بحماس لوالده:

ـ اذن؟ سأبقى مع ليزا اثناء غيابك؟

ـ لماذا لا تسأل ليزا مباشرة؟

واشار الى معطف جوني قائلا بجدية:

ـ هيّا! ارتدي معطفك حان وقت عودتنا الى المنزل.

فوجئت ليزا لقراره السريع، وارتعدت لمرور هذه اللحظات الحميمة بينهما كالبرق، وادركت انه ما زال يرفض ما يعتبره معروفاً، فاطرقت بسخرية لطيفة:

ـ سيد لامون، انت لا تسهّل الأمور... متى سترحل؟

ـ نهار الجمعة.

وجهت عندئذ كلامها لجوني، الذي كان ينظر اليها راجياً قبولها وقالت له:

ـ جوني! مرّ بي نهار الجمعة لدى خروجك من المدرسة، سأكون بانتظارك.

أضاف فرايزر بتعجب:

ـ هل انت متأكدة يا آنسة ليزا من ذلك؟ هل سيكون لديك الوقت الكافي للاهتمام بجوني وخالتك مريضة؟

ـ سيمكث والدي معي فترة أطول ليمدّ لي يد المساعدة.

ـ اذن! يا بني انت حصلت على ما تريده بالضبط! وارجو ألاّ تعيد ما فعلته هذا المساء... هيّا بنا.

انفرجت اسارير جوني وعاد البريق الى عينيه معلناً عن ارتياحه لاستعادة ثقته بدنيا الراشدين.

رافقتهما ليزا حتى الباب، ولم تستطع عدم التعليق على جواب فرايزر لجوني وسألته بذكاء:

ـ وانت يا سيد لامون، الم تحصل بعد على ما تريده؟

ـ ليس بالتمام! ما أريده يا آنسة ليزا يتطلب وقتاً. امنياتي تفوق امنيات جوني.

وخرجا معاً، وهما يضحكان... وبقيت ليزا تسمع خطواتهما تبتعد

تدريجياً. وكما في كل مرة، جلست تحلل معنى كلامه الأخير. فماذا يقصد بامنياتي تفوق امنيات جوني؟ لربما كان يقصد طموحه لتطوير حوض السفن ومؤسسته؟ أو بكل بساطة يعني زواجه من سارة؟ طبعاً، هذا عرض مغر لعائلة شيزهولم لن يرفضوه.

عادت اليها هذه اللحظة الشيّقة التي جمعتهما معاً قرب المدفأة، وهو ينظر اليها بعينيه اللتين تقدحان شرراً. ويتفحص وجهها بامعان وبشوق. لكنها سرعان ما طردت هذه الافكار من رأسها، محاولة اقناع نفسها، انها وقعت مجدداً ضحية تصوراتها. لكن كيف ستنسى هذا المساء، الذي اشعل فيها رغبة لا توصف؟ هل هي مرغمة على البوح بحبها له بالرغم من كل شيء؟

ودخل عليها والدها في هذه اللحظة، وقال بخطورة:

ـ ليزا، اتصلي بالطبيب بسرعة، خالتك في اقسى حالات المرض!

الجمعة صباحاً، مع طلوع فجر جديد ماتت السيدة مود روي، تاركة منزلها لقريبتها ليزا روي سميث، موصية لها بالامتناع عن بيعه طالما هي على قيد الحياة، وان اضطرت ان تبيع يوماً فلتفعل، شرط الاّ يكون الشاري من عائلة لامون. وبعد ان اهتمت ليزا بمراسم الدفن لجأت الى غرفتها ترتاح من تعب النهار، وهي تعيد قراءة الوصية أمام والدها. قال السيد فرانك معلقاً:

ـ اسأل نفسي، لماذا كانت مود تكره عائلة لامون الى هذا الحد؟

ـ كانت تربطها علاقة بجون لامون، جدّ فرايزر لامون، وكانا في مرحلة الخطوبة، عندما شككت هي بحبه لها، زاعمة انه مرتبط بامرأة اخرى. وحسب الاقاويل التي سمعتها يزعمون انه لم يحاول تبرير موقفه، كما هي لم ترجع عن شكوكها. ففسخا الخطوبة وكانت النهاية بينهما.

ـ هذا دليل فقدان الثقة بينهما... في أي حال... اعتقد ان هذا المنزل سيشكل لك هماً من ناحية الاعتناء به، الا ترين انه من الأفضل لك ان تعرضيه للايجار؟

ـ لا افكر بالرحيل عن اردمونت. وجدت مكان عملي هنا، وسأرتاح لبقائي. سأعمل مع ساندي في مصنع اقمشة التويد، وان شكّل لي المنزل هماً من ناحية ادارته، سأعرض بعض غرفه للايجار خلال فترة الصيف.

ـ هذا حل رائع! في أي حال، أنا سأعود الى لندن! لن امكث في منزل

هو بمثابة مجرى دائم للهواء، ويطل على ورشة بناء، وتحيط به العنابر من كل جهة... سأعود الى عملي بكل سرور.

وودعت ليزا والدها، وعادت الى منزلها بهدوء... أيام جديدة بانتظارها... والدها عاد الى لندن، خالتها ودّعت هذه الدنيا وفي اليوم نفسه سافر فرايزر متوجهاً الى مؤتمر مجهزي السفن. انها الآن وحدها... وجوني ينتظرها، ومعاً ينتظران عودة فرايزر. تذكرت كلمات جوني الرقيقة، عندما علم بخبر وفاة الخالة مود:

ـ كم هو مؤسف ان تموت السيدة مود في شهر نيسان (ابريل).

كان جوني على حق! فالطبيعة في هذا الشهر تستيقظ من سباتها العميق، لتستقبل ما امتنعت عنه طوال فصل الشتاء. فتغطي الارض اجمل الألوان وتخرج الزهور من غيابها الطويل لتطل بأوراقها الطرية وببراعمها النقية. كل شيء يدعو للجمال وللتأمل في هذا الشهر. البحر الهادىء والنائم كالسكون، تلمع صفحته تحت الشمس البهية، وتعكس ظلال التلال المغلفة بأشعة فضية تتهادى بنعومة على صدر البحر الواسع! كل هذا يدعوها للبقاء في اردمونت. وكأنها لأول مرة ادركت لماذا عاد فرايزر الى هنا بعد غيابه الطويل.

وبدأت ليزا تعتاد حياتها في اردمونت. في النهار التالي، قصدت مصنع ساندي، لتباشر عملها. استقبلتها ابنا بالترحاب، ووجهها يشير ببشرى سعيدة، فقد ارتفع عدد الطلبات على الاقمشة بعد صدور الصور في مجلات الموضة. وكان فرح ساندي عظيماً، فلم يتمالك نفسه أمام ليزا بل قال مسروراً:

ـ سنضطر لزيادة عدد الموظفين. فالطلبات تتكاثر علينا ويلزمنا من يهتم بالخياطة، ومن يدير شؤون الادارة، ومن يهتم بالمبيع، ومن يتوكل بمساعدتك في كل ما تقومين به، ومن يهتم بالعلاقات العامة... ليزا انا مدين لك بالكثير... ارجو ان توافقي على مشاركتي في ادارة مصنع التويد.

ـ لا تقلق يا ساندي، يمكننا العمل معاً، حتى لو لم تكن شركاء!

ـ لا أقبل بهذا الحل. فانت تستحقين اكثر من هذا بكثير... اقترح ان نناقش هذا الموضوع مع عائلتي... ماذا لو تأتين هذا المساء ونتناول طعام

العشاء، ثم نبحث في هذا الأمر... في البيت أفضل... هنا الجو مشحون بالعمل.

- لا استطيع في المساء ان اترك المنزل، فأنا اهتم بجوني لامون. لماذا لا تزورني في منزلي؟

اظهر ساندي شيئاً من الارتباك وقال بتردد:

- افضل الاّ افعل... فلا أريد ان تثار حولك الأقاويل.

- ساندي! ماذا دهاك؟ ألم تزرني من قبل؟

- صحيح! لكن الوضع يختلف الآن عن السابق، فانت اليوم تعيشين وحدك.

- ساندي! لا تكن سخيفاً ارجوك! اعتقد انه من الطبيعي جداً ان يزور رجل امرأة شريكة له في العمل، دون ان تثار حولها الشكوك ويكونا عرضة للألسن البغيضة.

- هذا ممكن في المدينة، اما هنا، في الجزيرة، فهذا مستحيل!

- لو كنت رجلا، لما أتيت لزيارتي لكوني شريكاً لك؟

- أجل. هذا صحيح.

- اذن؟ اعتبرني مساوية لك، وعاملني كشريك.

- يصعب علي هذا الأمر!

- يجب ان تقبل بهذا الوضع والا رفضت التعاون معك.

٧ - ينقصني الحب

بدأت ليزا حياة جديدة بعد وفاة خالتها مود. انها الآن تعيش تماماً، كما كانت تتمنى في الماضي، لا قيود تقيدها، بل حرية تامة في التصرف. وهي تعلم اليوم امام وضعها الحياتي الجديد ان ثمن هذه الاستقلالية هو وحدتها، التي طالما سعت اليها. لكن يا ترى هل هي حقاً سعيدة؟ لماذا هذا الشعور بالنقص، حيال حياتها وتطورها كامرأة؟ ماذا ينقصها لتنمو بفرح وتكامل؟ الا يكفيها حالياً ان ترعى امور جوني اثناء غياب والده؟ فهي تمضي عطلة نهاية الاسبوع برفقته، يتنزهان عبر الجزيرة، ويعملان في الحديقة طوال النهار! صحيح انها تشتاق احياناً الى حضور خالتها مود في منزلها الريفي الكبير، لكن اشتياقها هذا، لا يتجاوب مع شعورها الدائم بالنقص... فاشتياقها لمود ليس سوى فترة عابرة طبيعية، لكنها تشعر بفراغ اعمق واعنف. وربما لحاجتها الماسة الى حضور رجل في حياتها ام انه الحب وحده كفيل بتأمين التوازن، والانسجام في حياتها.

لو لم يكن الحب هو الجواب على اسئلتها الكثيرة حول علاقتها بفرايزر، فكيف تفسر اذن شعورها بالوحدة في غيابه، بالرغم من حضور جوني معها؟ كيف تفسر انتظارها القلق له؟ كيف تواجه واقعها المرير وهي تحاول جاهدة ان تبعد عنها هذه التطورات المؤلمة؟ ما معنى شوقها، وتخيلها للقائها المقبل به، متمنية ان تزول بينهما جميع الحواجز التي فرقتهما في السابق؟ اما على صعيد عملها، فهي لا تشكو من مشكلة معينة، بل بالعكس فالأمور تسير على احسن حال. زارها ساندي في الاسبوع المنصرم، وعرض عليها رسمياً القبول بتعاونها معه في المصنع. كان شديد الانفعال، ولم يمكث اكثر

من ساعة. دار حديثهما حول شروط تعاونهما الجديد. لم تكن تنتظر حديثاً اخر، واسعدها ان تكون الاشياء جرت على هذا النحو، فالظاهر ان ساندي ارجأ، ما كان يريد البوح به الى موعد اخر، وعندما رافقته حتى الباب مودعة، كان القمر بدراً والسماء صافية. انحنى ساندي وخطف منها عناقاً حاراً ولشدة استغرابها لم تشعر بحاجة الى ان تبادله العناق، بل سمعته يتمتم بخجل:

- هذا تعبيري الصادق عن فرحي لبداية شراكتنا في العمل، متمنياً ان نطمح الى شراكة افضل! تصبحين على خير آنسة ليزا!

وغاب ساندي تحت ضوء القمر الشحيح، ووقفت هي في مكانها، تستعيد ما حدث باستغراب كبير، ولم يمر عليها لحظات وجيزة، حتى دوى صوت خلفها انتشلها فجأة من غيبوبتها:

- شيء مثير حقاً!

التفتت الى الصوت بهلع شديد، وكم كانت دهشتها كبيرة، عندما رأت فرايزر لامون يخرج من العتمة ويتجه نحوها بخطى رشيقة، فسألته بذهول:

- انت؟ ماذا تفعل هنا؟

اجابها بسخرية:

- وصلني خبر وفاة خالتك وجئت معزياً... لم اشعر بالحاجة الى قرع الجرس، فالباب كان مفتوحاً، مما سمح لي ان اكون شاهداً اضطرارياً لعناق مؤثر للغاية.

- ساندي وانا اصبحنا شريكين في العمل وما شهدته يا سيد لامون، ليس الا تتويجاً لشراكة حديثة العهد.

فأضاف بتهكم:

- اسلوب خاص ومميز لعقد شراكة جديدة.

- لم اكن انتظرك قبل نهار غد.

اجاب بجفاف:

- قادتني سارة من غلاسكو الى هنا... في سيارتها.

- اذن سافرت بصحبتها؟

- ماذا تقصدين؟

- لا شيء بالتحديد، انما اعتقدت انها سافرت الى مكان اخر وكان...

قاطعها فرايزر بلؤم وقوة:

- آنسة ليزا، لا سبب لهذه التساؤلات... والتخمينات... فأنا لم ار ساره منذ عشرة ايام... اطمئني... التقيت بها صدفة في المطار، وعرضت علي ان ترافقني في سيارتها حتى اردمونت، وهي التي اخبرتني عن وفاة خالتك... انا متأسف لما حدث... تعازيّ الحارة... بالطبع، انت ستشتاقين اليها...

- اجل.

اجابت ليزا ببساطة، وخيم بينهما سكوت طويل، يتخلله هدير البحر وصوت الطيور المحلقة فوق الماء. ولم تتجرأ ليزا في هذا اللقاء، الذي طالما انتظرته، ان ترفع نظرها نحوه وتتأمله. فجأة قطع فرايز جو السكينة وقال لها بصوت رقيق:

- في المرة الماضية عرضت علي تناول الفطور... هل سمحت ودعوتني هذا المساء الى العشاء، فأنا اتضور جوعاً... ثم لدي ما اقوله لك!

اجابت ليزا بتردد:

- اتريد ان تأكل في هذه الساعة؟

- لا طعام لدي في المنزل، اتريدينني ان انام بدون عشاء... بعد سفر طويل!

لم تستطع ليزا، رفض هذا الطلب ووجدت نفسها مضطرة للسماح له بالدخول، في هذه الساعة المتأخرة من الليل، كانت مرتبكة للغاية، نظراً للتغيير المفاجيء الذي حل به، فهو يكلمها بلطف. وفكرت ان دعوة فرايزر الى العشاء، تختلف كثيراً عن دعوة ساندي، واحست بانسجام بالغ بينها وبينه، لم تشعر به خلال زيارة ساندي. توجها الى المطبخ، وبدأت تعد له الطعام. لم تجد سوى بعض الاجبان وقليل من البسكويت، بينما فرايزر فتش في ارجاء المطبخ، وعثر على زجاجة معتقة من الشراب، كان قد تخلى عنها والدها فدعاها، بكل بساطة الى الجلوس ومشاطرته طعام العشاء.

سألته بارتياح:

- قلت ان لديك ما تقوله لي.

- من يملك هذا المنزل الآن؟

- انا! لم تخدعك خالتي رحمها الله، عندما اخبرتك انها تنوي ان تكتب منزلها باسمي.
- حسناً، اتقبلين عرضي لشراء هذا البيت مع الأراضي التي تحيط به؟
- كلا! في اي حال، لا استطيع ان اخالف الوصية... فأحد بنودها ينص على امتناعي عن بيع المنزل لعائلة لامون.
قطب فرايزر جبينه مستغرباً وقال بهدوء:
- في هذه الحال... يمكنك ان تباشري انت شخصياً بورشة بناء.
- لست ادري! لم استفهم عن هذه الامكانية.
وعاد فرايزر الى صمته المعهود، وبدا عليه انه يفكر بامر بالغ الأهمية. ثم لاحت على وجهه بسمة رقيقة، شعت كالشمس الشارقة، وقال ببساطة:
- ارجو الا يكون جوني قد ارهقك!
ارتاحت ليزا لسؤاله عن جوني، فهي لا تريد ان تتحدث بامور معقدة، خاصة عن ملكيتها لمنزل خالتها، واخذت تقص عليه ما فعلته هي وجوني اثناء غيابه. فعلق فرايزر قائلاً:
- انا مسرور جداً... لأن جوني امضى وقتاً ممتعاً!
- انه يشعر بالأمان هنا... فانت تغيب يا سيد لامون وقتاً طويلاً ويجد جوني نفسه تحت رعاية اشخاص لا يعرفهم... ولقد عرف عدداً متنوعاً من المربيات... مما ادى الى شعوره بفقدان حياة عائلية مستقرة... لو كانت له ام لما تألم الى هذا الحد لغيابك عنه.
اشتعل فرايزر لامون غضباً وصاح:
- اعرف هذا... يا آنسة ليزا... فانت لا تقولين شيئاً جديداً... الا تفهمين انه يصعب علي ان العب دور الاب والأم على السواء؟ وان كنت لجأت الى المربيات فلأني لم اجد حلاً افضل... ومع هذا اعاني ما فيه الكفاية من استخدام مربية، فهي اما لا تتفق مع جوني واما جوني لا يتفق معها او انها لا تتحملني!
اجابت ليزا بنعومة:
- لماذا لا تتزوج سيد فرايزر؟
- اتزوج من؟ فالمرأة يجب ان تعجب جوني اولاً... والا ستكون حياتنا معاً، سلسلة من العذاب.

وخيم صمت ثقيل بينهما، لجأ خلاله فرايزر الى تأمل كأس المشروب الذي بين يديه بحزن بالغ وفكرت ليزا في هذه اللحظة بسارة شيزهولم... فهي ليست الشخص الذي يناسبه، نظراً لعداوة جوني لها... وعادت لتسأله من جديد:
- اليس الحب شرطاً اساسياً لزواجك؟
اجاب فرايزر ببرودة:
- يكفي ان احترم المرأة التي ستكون زوجتي... وبالمقابل... تتقبل هي غيابي المتكرر عن المنزل.
صدم جواب فرايزر ليزا، لأنها ادركت انه يبحث عن زواج منطقي، يسعى من خلاله لتحسين وضعه العائلي، كي يتسنى له الانصراف الى عمله باطمئنان. بالرغم من خيبة املها، لم تتردد لتسأله بفضول:
- افهم انه لا مانع لديك اذن من ان تتمتع زوجتك باستقلاليتها وبحرية في التصرف؟
فأجاب مؤكداً:
- لا مانع لدي على الاطلاق، انما هذا الذي اتمناه حقاً فأنا احترم كثيراً حريتي، ولا اعاكس حرية الآخرين، او احرمهم منها... اضافة الى ذلك... فالمرأة الضعيفة والمستسلمة لمشيئة رجلها، لا تهمني، ولا احتملها ابداً!
- ليست كل النساء من صنف واحد!
اجابت ليزا معلقة وهي تفكر بهولي المسكينة التي اصطدمت بطبعه العنيد. انتبهت فجأة لنظراته الحادة التي تراقبها بانتباه بالغ، فكتف يديه، تاركاً كأسه جانباً واخذ ينظر اليها بامعان. احست بنار متقدة تشعل وجنتيها، وسمعته يقول بصوت ساخر لئيم:
- بصراحة، انت الشخص الذي يناسبني حقاً... فانت استقلالية بطبعك، ولست تلك المرأة المستسلمة التي لا اطيقها... اضافة الى علاقتك الممتازة بجوني... لو لم تصارحيني يا آنسة ليزا، بعدم رغبتك في الزواج لكنت تقدمت وطلبت يدك في الحال، من اجل سعادة جوني.
لم تجد جواباً مناسباً بل زاد اضطرابها وشعرت كأن الدنيا انقلبت على رأسها دفعة واحدة، واخذ قلبها يخفق بسرعة، فتمالكت نفسها وقالت

بصوت مرتفع:
- افهم يا سيد لامون، انك تتكلم عن زواج منطقي؟
اجاب بهدوء:
- لا يخلو اي زواج، مهما كانت دوافعه، من المنطق، وارى هذا الزواج ناجحاً للغاية لانه سيسعد جوني.
- وبماذا هذا الزواج هو ناجح بالنسبة اليك؟
سألت ليزا بغضب شديد، وعيناها تقدحان شرراً بينما فرايزر حافظ على هدوئه، واجاب ببساطة بالغة:
- اكون مطمئن البال!
- وانا؟ الم تحسب لشعوري حساباً؟
- في اي حال، انت ما زلت تتمسكين باستقلاليتك، واعتقد ان القرار يعود اليك شخصياً... اليس كذلك؟
ووقف فرايزر مستعداً للرحيل، فاحست ليزا بشعور غريب يحتلها ويدفعها للاحتفاظ به وقتاً اطول، ولزعزعة ثقته بما يعتقده حقائق ثابتة، فهرعت اليه، وانتصبت امامه بعنفوان قائلة:
- من اجل جوني سيد لامون... انا مستعدة لاي شيء.
اجابها بحيرة بالغة:
- ماذا تقصدين يا آنسة ليزا؟
- اريدك ان تعرف انني مستعدة للزواج منك، اذا تقدمت وطلبت يدي.
وصمت فرايزر للحظات، ثم انفجر ضاحكاً، كأنه لم يصدق ما سمعته اذناه، وقال مبتسماً بلطف:
- انت سريعة في تبديل مواقفك.
- لست باسرع منك. كنت اعتقد انك تتجنب النساء اللواتي تربطهن بجوني علاقة طيبة.
- هذا صحيح! لكنني لاحظت انك مخلصة في دفاعك عن اتهاماتي لك.
وفجأة مال صوته الى القسوة واضاف بجدية:
- آنسة سميث، اتقدم واطلب يدك بالحاح، لانني مضطر للسفر في القريب العاجل. ما رأيك لو نحدد موعداً لزفافنا في بداية هذا الشهر،

ويقتصر الاحتفال على حفلة صغيرة، متواضعة وبسيطة، ويكون موعد زواجنا، في النهار الذي سأرحل فيه مساء.
ووافقت ليزا كأنها في حلم. ورافقته حتى الباب، ووجدت نفسها في المكان نفسه الذي وقفت فيه تودع ساندي لساعات مضت... ورائحة زهر الياسمين تفوح بعطرها وتملأ الأرض سحراً وطراوة.
بادرها فرايزر بلهجة هازئة:
- هذا اتفاق لشراكة ثانية، تعقدينها في المساء نفسه، لكنني لن اتوج هذا الاتفاق كسواي... ايمكنك ان ترسلي لي جوني غداً صباحاً، قبل ذهابه الى المدرسة؟
- لو تمر بنا غداً ونتناول طعام الفطور سوياً.
اقترحت ليزا بعفوية مطلقة، وتمنت لو انه تصرف كساندي، وتساءلت ما سبب هذا التمني، الم تقبل بزواج مبني على المنطق؟ فهو يريدها لمصلحة ابنه، ولن تعد نفسها باكثر من هذا...
ابتسم فرايزر وهو يبتعد مودعاً وقال وهو ينظر اليها للمرة الأخيرة:
- حسناً موافق. سأمر غداً لطعام الفطور.
وغاب في عتمة الليل الذي خرج منها منذ ساعات وانتشلها من غيبوبة، ليضعها امام حلم اخر لم تكن تتوقعه. ولم يغمض لها جفن في هذه الليلة، بل امضت الوقت تقيس غرفتها ذهاباً واياباً... وتحاول ان تقنع نفسها بالعدول عن فكرة الاتصال بفرايزر هاتفياً لتبلغه رجوعها عن قبولها بالزواج منه، كأنها لم ترض بتسرعها على هذا النحو فهي لم تعط لنفسها مجالاً للتفكير بل تصرفت بوحي انفعالها، كأنها تتحداه. ماذا يخبىء لها هذا الزواج من مفاجآت؟ وخيل اليها ان فرايزر لامون استعمل جوني كطعم واوقعها في الفخ بسهولة!
ماذا سيكون موقف سارة شيزهولم منها؟ سوف تكرهها بالتأكيد. ولن يمكنها تحمل هذه العدائية التي سيسببها زواجها منه. سوف يفاجىء الجميع هذا القران، بالطبع. ولن يمكنها الاهتمام بجوني، بدون ان ترتبط بفرايزر شرعياً. قررت ان تصارحه في الغد بعدولها عن الزواج. وفي اليوم التالي استفاقت ليزا باكراً، وبدأت بتحضير طعام الفطور.
كان جوني يلعب في الصالون، عندما قرع الباب، فهرع ليفتحه،

وصاح فرحاً لدى رؤيته والده. اما ليزا فزاد ارتباكها، وحاولت السيطرة على اضطرابها. دخل اليها جوني منشرحاً، واخذ يدها بين يديه قائلاً:

- ليزا صحيح ما يزعمه والدي، انك ستكونين اما لي؟

ونظرت ليزا الى فرايزر، الذي لحق بجوني على مهل، واجابت بلهجة غامضة:

- طالما ان والدك يقول ذلك... فهو اذن صحيح... اليس كذلك؟

وبدأ جوني يرقص فرحاً في ارجاء المطبخ وهو يصيح:

- سأخبر صديقي جيم، ومعلمتي في المدرسة... سأخبر الجميع، لدي ام حقيقية الآن!

ونظرت ليزا ناحية فرايزر نظرة عتب، ستعرف كل اردمونت غداً انها ستصبح زوجة لفرايزر لامون. بادلها نظراتها الحادة بضحكة عريضة، وجوني لا يهدأ يروح ويجيء كمن اصيب بلوثة. ثم سأل والده:

- لو كانت السيدة مود على قيد الحياة، هل كان سرها نبأ زواج ليزا؟

اجابه فرايزر ببساطة بالغة:

- بكل تأكيد، فهي كانت على وشك الزواج من جدي، فيما مضى.

وسأل ليزا فجأة:

- اين فرانك؟

- في لندن. استلمت منه رسالة في الأمس.

- احب ان تبلغيه خبر زواجنا، يهمني كثيراً الحصول على موافقته.

فوجئت ليزا لتصرفه التقليدي وتذكرت موقف اهل زوجته السابقة، هولي، من زواجها، وفهمت حقيقة مشاعره في موقف كهذا. فاجابت بهدوء:

- حسناً سأفعل!

وهكذا انتهت زيارة فرايزر لها في الصباح، وخرج مع جوني، وتوجهت هي نحو مصنع اقمشة التويد، وهي تفكر بانها لن تنسى ان ترسل برقية لوالدها، تلبية لرغبة فرايزر. وعندما وصلت الى المصنع، همست لساندي خبر زفافها من لامون، فامتقع وجهه، وقام من مقعده على مهل، وتمشى الى النافذة ببطء، وقال بصوت خافت:

- لم تخبريني بشيء مساء الأمس.

- لم اكن اعرف بعد، وصل فرايزر بعد رحيلك بلحظات.

- اما كنت تتوقعين حدوث امر كهذا؟ في اي حال، عليك بالتفكير ملياً، قبل الاجابة، فهذا قرار خطير، يتطلب وعياً كافياً.

ولم تجد جواباً لتشرح له الظروف التي حملتها على التسرع في القرار بدون تردد، وامام انفعال ساندي واضطرابه، لم تشعر بحاجة الى مزيد من التفسير فاكتفت بسؤاله ببساطة:

- اما زلت عند عرضك لي، اي اترضى ان اكون شريكة لك في المصنع؟

- لست ادري. فانت اليوم تواجهين وضعاً اجتماعياً جديداً واخشى ان تلهيك واجباتك المنزلية عن العمل.

- لست من رأيك في هذا الموضوع. فزواجنا لم يتم، لو لم نتفق سابقاً على احترام حرية تصرف كل واحد منا... والا لن يرى هذا الزواج النور.

استغرب ساندي هذا التعليق وقال مشككاً:

- يبدو لي انكما تقدمان على تأسيس شركة، بدلاً من تأسيس عائلة.

- سمها كما تشاء. ستكون شراكتنا شراكة بين طرفين متعادلين واعتبر هذه الناحية، شرطاً اساسياً للزواج.

- ولا تحسبين، للعواطف، وللحب، حساباً؟

- الا تحب زوجتك، الا اذا بقيت في المنزل تنتظر عودتك، وتحضر لك وجبة الطعام؟

واضافت، لدى رؤيتها ساندي مرتبكاً وحزيناً:

- اعذرني يا ساندي، انا متأسفة! لدينا وجهات نظر مختلفة! فانا لا اشعر بالسعادة داخل قفص ذهبي، وهذا لا يلائم طبيعتي المستقلة.

فأجاب ساندي بجفاف:

- لا داعي للاعتذار، اتمنى لك اياماً سعيدة، واعتقد ان جوني سيفرح بك كثيراً... لكنني بالواقع، فوجئت بهذا النبأ لانني اعتقدت ان فرايزر على علاقة بسارة...

اجابته ليزا بلطف:

- ربما حان دورك الآن، لاحياء الأمل من جديد.

- ربما.

واضاف بحزن:

- ما رأيك بهذه النماذج من القماش؟

صحيح ان الحقيقة تجرح دائماً، ولم تشأ ليزا ان تترك فيه اثراً عميقاً. فانكبت على عملها محاولة ان تنسى حوارها معه. وبعد ساعات، دخلت الى الغرفة حيث تعمل اينا، وبادرتها هذه الأخيرة بصوت يفيض حيوية:

- ما هذا التكتم يا آنسة؟ الماء تجري من تحت اقدامنا، ونحن آخر من يعلم! فهمت الآن سبب عداوة سارة لك. هل حددتما موعداً للزفاف؟

- في بداية شهر ايار/ مايو على ما اظن.

- وبهذه السرعة؟

- حاجة جوني الى ام تقوى علينا!

- ايكون هذا هو الدافع الوحيد لزواجكما؟

واضافت بذكاء، وهي تحاول ان تستقرىء ما تخبئه ليزا:

- لا تحاولي ان تقنعيني بأن هذا الزواج يخلو من الحب، ويرتكز فقط على المنطق؟

- ولم لا؟

- هذا مستحيل. بل غريب ولا يخطر ببال!

وبعد برهة، اضافت اينا بغرابة:

- ساندي حزين اليوم، لم يخرج من مكتبه طوال النهار، انا متأسفة من اجله!

- لكنني ما زلت عند رأيي... سأكون شريكة له في المصنع.

- ليس هذا هو السبب الحقيقي لحزنه... فهو مغرم بك... وللمرة الثانية، يفشل على صعيد الحب...

واغرورقت عيناي اينا بالدموع، ولم تكمل حوارها مع ليزا!

فشعرت ليزا بضيق من جراء تسببها التلقائي بيأس ساندي واستسلامه للحزن. وعادت الى منزلها سيراً على الأقدام وهي تعلل النفس بغد افضل... ما عساها تفعل لساندي كي تساعده على الخروج من محنته؟ هل تصرفها العفوي والبسيط والمباشر والواضح معه هو الذي شجعه للمضي في احياء الأمل حول علاقتهما؟

وما ان هدأت افكارها، حتى ناداها صوت تألفه، فالتفتت لترى جوني

يركض نحوها، وشعره يتطاير في الهواء، وما ان اصبح على مقربة منها حتى سألها بالحاح:

- ليزا... ستصبحين امي، أليس كذلك؟

- اجل... يا جوني... اجل.

- على الاقل... لم تغيري رأيك... حسناً!

واضاف بحماس:

- ليزا... لن يرتاح لي بال الا اذا اقسمت بانك لن تتراجعي عن قرارك.

- اعدك انني لن اتراجع.

- هل ستأتين هذا المساء وتعدين لنا طعام العشاء؟

- لم يحن الوقت بعد لذلك، سأهتم بهذا الأمر، عندما نقيم نهائياً معاً... هذا لا يمنع ان يتولى والدك من وقت لآخر عملية الطهي... فهو طباخ ماهر!

- لكن والدة جيم، تهتم بتحضير الطعام بصورة مستمرة.

- جوني! سأكون اماً لك هذا صحيح. لكن هذا لا يعني انني سأتصرف تماماً كما تتصرف والدة جيم... فأنا لدي حياتي العملية ايضاً، وسأهتم بك، وبالطهي، عندما تسنح لي الفرصة بذلك... وفي اوقات انشغالي يتولى والدك السهر عليك!

اجاب جوني بجدية:

- فهمت ما تقصدين... المهم ان تكوني معنا في اغلب الأحيان، في اي حال انت اجمل من والدة جيم، فهي لا تملك عينين كعينيك اللتين بلون البحيرة عند سفح الجبل، عندما تعكس الشمس اشعتها...

- عندما تعكس الشمس اشعتها؟

سألته ليزا بدهشة كبيرة، فردد كلامه بارتباك واضاف بحيرة:

- سمعت هذا التشبيه من ابي عندما سألته يوماً عن لون عينيك. فأجابني بلون البحيرة عند سفح الجبل عندما تعكس الشمس اشعتها الذهبية وتمتزج بلون البحيرة الأخضر، وشعرها بلون ورق الخريف... ليزا، الا تحبين هذه التعابير؟

- بالطبع... احبها!

ارتعدت لدى سماعها ما ردده جوني بطيبة فائقة، وادركت مرة اخرى ان فرايزر اخفى عنها شعوره الحقيقي، بل انه عبر عن العكس فقال لها في لقائهما الأول، انها تشبه والدتها بشعرها الأحمر. وفي ذاك اليوم نفرت من لهجته الساخرة. وربما هي التي اعتقدت انه يسخر منها! وجوني يؤكد الآن انطباعها الخاطىء.

واشتاقت فجأة له وتمنت لو يحضر الآن ليتناقشان معاً في طريقة اعداد الزفاف. لكنه لم يحرك ساكناً وبقي بعيداً لمدة يومين واعتبرت ليزا انه محق في التزامه تجنب معاشرتها. الا يرتكز زفافهما على المنطق وعلى المصلحة المشتركة؟

استلامها برقية من والدها سنح لها فرصة الذهاب لملاقاته وتبليغه محتواها. يقول فرانك:

ـ احر التهاني. انا مسرور للغاية. ابارك هذا الزواج بمحبة!

وتعجبت ليزا للهجة فرانك الفرحة، فهي لم تتعوده سريع التأثر، فهو من النوع الذي يكتم مشاعره في وضع كهذا. . .

الهذا الحد نال فرايزر لامون اعجابه؟ وابتسمت وهي تسير بخطى رشيقة نحو ورشة العمل حيث يعمل فرايزر. وتذكرت الفترة التي امضاها فرانك في اردمونت. . . الطقس شتاء،ومطر غزير،الهواء يلفح بشدة عبر الجزيرة، ويحرك بقوة كل ساكن، كأنه لا يطيق الجمود، فتهتز الاشرعة في الحوض، ونوافذ البيوت، والورق المتطاير يجن جنونه.

وما ان وصلت ليزا الى مقربة من الورشة حتى لاحظت انكباب الجميع على العمل باندفاع، كأنهم خلية نحل نشيطة. . . وفتشت عن فرايزر بين الجمع الذي يعمل على المراكب فبان لها بقامته المشوقة يراقب الأعمال. توقفت هي بدورها، تراقب بفضول كبير وباعجاب الخطوط الهندسية، المتناسقة، التي تشكل هيكل المركب. والى جانب هذا المركب الذي يعملون عليه، مركب آخر، جاهز، تضيئه يافطة، كتب عليها باحرف براقة «مادريكال» اي: «الغزلية» وهذا عنوان قصيدة غنائية. وفجأة توجه الجميع الى المركب الجديد، وراحوا يعدونه للابحار، فرافقهم فرايزر، ووقف جانباً يتأمل بدهشة كطفل ما صنعته يداه. . . واخذ المركب الجديد يهبط ببطء حتى لامس صفحة الماء، بجلال، محدثاً ارتجاجاً رائعاً. ما اجمل

هذه اللحظة. . . فهي تختصر ولادة هذا المركب، حتى انطلاقه وكم هو سعيد الآن فرايزر امام انجازه هذا! لم تتمالك ليزا فرحها فاتجهت نحوه، وقالت بحماس كبير:

ـ انه مدهش!

فوجىء فرايزر لدى سماعه صوتها، اذ يبدو انه لم يسمع وقع خطاها.

ـ انه يخص رونالد غو شقيق زوج السيدة شيزهولم.

اجاب فرايزر بفظاظة، فنظرت اليه ليزا وللمرة الأولى بامعان، وراقبت لون عينيه، الذي يميل الى لون البحر عندما تشتد زرقته، في الأيام المشمسة، فهما لا تقلان سحراً وغرابة عما يحمله البحر من اسرار دفينة!

بادلها فرايزر النظرات بالحدة نفسها. فشعرت بالخجل، وقال بصوت لعوب:

ـ ليزا ماذا تريدين؟ هناك مركبان في انتظاري لاطلقهما ليس لدي وقت لاكرسه لك.

ـ اليس من الخطورة ان تطلقهما اليوم في هذا النهار الممطر العاصف؟

ارادت ان تشاركه في هموم عمله بدون ان تفرض نفسها عليه وترغمه على الاهتمام بها، فاجاب فرايزر مفسراً بصبر:

ـ لا خيار لي، يجب ان اطلقهما اليوم لأتأكد من جودتهما. . . فانا مشغول للغاية، وتزداد الطلبات ويجب ان انهي قسماً منها قبل انتهاء الشهر. لم تجاوبيني بعد، لماذا اتيت وماذا تريدين؟

اعطته البرقية، التي حملتها اليه، والتي كانت حافزاً لمرورها به، محاولة ان تنسى فظاظته وخشونته. وادركت ان عليها من اليوم فصاعداً، ان تعتاده طالما انها قبلت بهذا الزواج الذي يخلو من الحب. ولا حاجة بها ان تشعر بالألم، او بالحرج، او ان تطالبه بقليل من اللطف او اللياقة، لكنها لم تطلب الكثير، كانت تكتفي، ببسمة رقيقة بعد غيابه عنها. اعاد اليها البرقية معلقاً:

ـ هذا لطف من والدك ان يبدي رأيه بهذه السرعة، امامنا ثلاث اسابيع لاعداد مراسم الزفاف، واجد هذه الفترة كافية.

واضاف بسخرية:

ـ هل تعرفين احداً ما زال يعارض بعد هذا الزواج؟

- لا احد. لو رفض ابي. هل كنت عدلت عن هذا الزواج؟
- وانت، ما كنت فعلت لو رفض والدك؟
- لم تجبني على سؤالي... هذا ليس بجواب.
- لا تنتظري مني في الوقت الحاضر جواباً آخر... ايمكنك الاهتمام بعشاء جوني... فلن اعود باكراً هذا المساء.
- وليس من واجبي ايضاً ان ارافقه حتى الفراش؟
- يكون من دواعي سروري لو فعلت.

وعاد فرايزر الى عمله، واخذت ليزا طريق العودة الى البيت وهي تفكر بهذا الدور الذي فرض عليها ان تلعبه حتى النهاية... دور المرأة المطيعة. وهي في الواقع تسخر من هذه المواقف... لكنها لم ترفض هذا الزواج، وكان باستطاعتها ان تفعل... لماذا؟

استقبلها جوني بالترحاب وارتمى بين احضانها بفرح، والح عليها بمرافقته حتى منزله لتناول العشاء فقبلت على مضض.

كان المنزل في حالة يرثى لها من الفوضى. كل شيء يدل على الاهمال، ولم تعرف من اين تبدأ لتعيد الى المكان رونقه. انتبه جوني لذهولها وقال معلقاً:

- الحال في الطابق العلوي اسوأ بكثير من هنا!

فسألته باستغراب:

- كم مضى من الوقت على غياب الخادمة التي تهتم بتنظيف البيت؟
- انها مريضة... وابي لا يملك الوقت الكافي للاهتمام بالمنزل.
- حسناً. امامنا ساعتان من العمل القاسي!

وخلعت ليزا معطفها وبدأت عملية التنظيف والترتيب، وعندما اشرفت على الانتهاء حضرت العشاء لجوني، ورافقته حتى فراشه، كما فعلت في السابق عندما اشتدت العاصفة وبقيت الى جانبه تغني له، كما تذكرت تلك الليلة عندما عادت من النزهة وجوني يرافقها. وكم تمنت الا تلبي دعوة ساندي لتناول الشاي وتمسك بيد جوني وتمشي الى جوار فرايزر حتى منزلها... ها هي اليوم تفعل تماماً ما تمنته فيما مضى...

واشتد عليها التعب، وارتمت على الديوان في الصالون، لتستعيد شيئاً من الراحة، قبل خلودها الى النوم. ادركت للمرة الأولى، لماذا كانت

تعارض دائماً فكرة الزواج. فهي تكره الواجبات المنزلية التي ترهق المرأة ولا تترك لها متسعاً من الوقت لانصرافها الى شؤون اخرى تصقل شخصيتها وتطورها. الحب وحده، يحررها من هذه العبودية، ويخفف عليها هذا العبء. الحب وحده... رددت ليزا... وغابت في نوم عميق، على غفلة منها...

في عرض البحر، مركب ذو اشرعة بيضاء. يشق الامواج، تحت سماء زرقاء صافية... وهي ممددة على سطحه، تنعم بدفء الشمس وحرارتها. فجأة يدوي خلفها صوت فرايزر، كما عهدته، فظاً، خشناً، ويملي عليها امراً. فتلبي بصمت ثم تنهال عليها اوامره، وهي تسرع لتنفيذها، حتى يرهقها التعب. فتنظر ناحيته لتستجدي عطفاً وعرفاناً بالجميل، ثم تظهر لها سارة، باناقتها، وهي تبتسم ساخرة منها، فينحني فرايزر نحوها، ويقبلها، بينما وقفت هي ليزا، كمن حكم عليه بالاعدام... وهو بريء...

- فرايزر! انت هنا؟

وانتفضت ليزا مذعورة... وهي تحاول ان تبعد عنها هذا الحلم المزعج... وخيل اليها انها سمعت صوت سارة... اهي في حلم؟ ام هو الواقع؟ واتجهت الى المدخل، بعد ان اعادت تصفيف شعرها واشعلت الضوء.

ها هي سارة حقيقة تقف امامها الآن باناقتها المعهودة وعيناها تقدحان شرراً تماماً كما في الحلم. استعادت ليزا قواها وقالت بصوت طبيعي:

- السيد لامون، لم يأت بعد... اتحبين انتظار عودته... تفضلي.

فأجابت سارة بصوت بارد:

- هذا الذي انوي عمله فعلاً!

واضافت وهي ما تزال تتمشى في عرض الصالون:

- لدي ما اقوله لك. كنت في زيارة لساندي، واخبرني انك تستعدين للزواج من فرايزر لامون، على ما يبدو ان هذا الخبر ازعجه للغاية! هل تنوين بالفعل الزواج من فرايزر؟
- نعم.
- حسناً! فانا لم اخطىء اذن في حكمي عليك. فأنت كسواك من اللواتي

زعمن الاهتمام بجوني، من اجل الوصول الى والده. لكنك تصرفت بذكاء وبراعة عندما اعلنت ان هذا الزواج لا يهمك بقدر ما يهمك الاعتناء بجوني. . . لدي ما اضيفه يا آنسة ليزا في هذا الخصوص. لا اعتقد ان فرايزر تقدم للزواج منك من اجل قلقه الدائم على ولده. . . في اي حال فهو تصرف على هذا النحو من وحي ما نصحته به. . .

فانتفضت ليزا غاضبة وسألت بجفاف:

- لم افهم قصدك بعد من هذه الزيارة؟

اشاحت ساره بنظرها، وأضافت:

- عندما رافقت فرايزر من غلاسكو الى ار دمونت بسيارتي اطلعته على وفاة خالتك مود، ولفتت انتباهه، لكونك الآن، المالك الوحيد لمنزل السيدة الراحلة ومن مصلحته ان يعرض عليك شراءه مع الاراضي التي تحيط به . . . هل فعل؟

فترددت ليزا وقالت:

- نعم. . . لكنني اخبرته عن عدم مقدرتي بيع المنزل، نظراً لما اوردته خالتي في الوصية. . . فخاب ظنه. . .

ابتسمت سارة ولاح بريق شيطاني في عينيها واضافت بنشوة:

- وعندئذ تقدم وطلب يدك للزواج؟

لم تجب ليزا. بقيت برهة، تحاول ان تعيد في مخيلتها تفاصيل ما حدث ذلك المساء بينها وبين فرايزر لامون. . . اهي التي تقدمت اولاً وطرحت فكرة الزواج، ام هو الذي فعل؟ ولم تصل الى نتيجة، نظراً لارتباكها في هذه اللحظة امام سارة، التي شوشت عليها افكارها، وقلبت كل شيء رأساً على عقب. . . فأجابتها وكأنها في غيبوبة:

- لست ادري. . . اعتقد ان الأمر سار على هذا النحو!

- . . . هذا هو القصد من زيارتي لك في هذه الساعة. . . لاحذرك من دوافع فرايزر الحقيقية، فهو يريد الزواج منك للحصول على املاكك، وعندئذ، لن يمنعه احد من التوسع والبناء. . .

خرجت هذه العبارات من فم ساره، كأنها السنة من نار تحرق بدون رحمة!

٨ـ العد العكسي

لم تمض ساعة من الوقت حتى عادت ليزا ادراجها الى منزلها الريفي الكئيب، فهي تعيش وحدها منذ وفاة خالتها وتزداد عليها وحشة هذا البيت عندما تضطرب وتتألم. بعد زيارة سارة لها في منزل فرايزر لامون، استسلمت للبكاء، وانزوت في المطبخ وحيدة، خائرة القوى، كأنها طفلة اضاعت والديها. ولأول مرة شعرت بيأس كبير يحتلها، هي التي لم تمرّ بحزن كهذا منذ سنين طويلة. لماذا هذا البكاء؟ الهذه الدرجة اثر فيها كلام سارة؟ فأبت ان تترك قواها تخونها، وقامت تحضر أبريقاً من الشاي، علها تستعيد القليل من عافيتها، انها حقاً تواجه مصيراً مجهولاً. لربما سارة على حق فيما حملته اليها، فرايزر لامون يود الزواج منها من أجل الحصول على املاكها. وشكرت الله، لتمكنها من السيطرة على أعصابها أمام سارة، ولم تنفجر بالبكاء، الا لدى وصولها الى منزلها. فكيف استطاعت ان تجيب سارة بهدوء وبشرف، كأنها لم تطعن كرامتها في الصميم؟ وتعود اليها هذه اللحظة بألم:

- ما تقولينه يا آنسة سارة، ليس بجديد، ولا بمجهول عني، فأنا متأكدة تماماً من الدوافع التي سببت هذا الزواج، واعتقد ان هذا الأمر يعنيني شخصياً أنا وفرايزر، ولا يعني أحدكما، لا أنت ولا ساندي.

واضافت بشطارة، عندما أصيبت سارة بذهول لدى سماعها جوابها:

- اذا كنت ترغبين بالبقاء وانتظار فرايزر كي يعود فأرجوك افعلي، أما أنا فيجب ان أعود الى منزلي، ولا أستطيع بسبب جوني لكن لو تبقين معه لوافقني الوضع. فرايزر لن يتأخر في العودة. بلغيه من فضلك ان عشاءه

جاهز في الفرن!

وهرعت الى منزلها، ملجأها الوحيد وهي تحمل في عينيها الدموع، وفي قلبها الرضى على مواجهتها النبيلة لسارة. لكن وحدها تعرف مدى الألم الذي سببته لها هذه المواجهة. فهي من جديد تشك بفرايزر. ألم تعقد معه هدنة سلام؟ وكيف تثق به، هو الذي صرح لها في السابق انه مستعد لأي شيء من أجل الحصول على ما يهدف اليه.

ربما ستضطر الى مصارحته بحقيقة مشاعرها وتطلب منه توضيحاً! وفجأة تدفقت الماء من الغلاية، فقامت لتحضّر الشاي وفكرت بسارة التي تركتها في منزل فرايزر، وتمنت ان تكون بقيت الى جانب جوني، فرايزر لا يجب ان يترك ابنه وحيداً. وعادت الدموع تغطي وجهها. فسكبت لنفسها كوباً من الشاي . . . شرابها الساخن المفضل في حالات اضطرابها وحزنها.

- ليزا!

دوى صوت فرايزر خلفها، وتعرفت الى لهجته الحاسمة، فها هو واقف في المدخل يناديها. وجهه شاحب، يحمل غضباً ومضايقة، فاستغربت حضوره في هذا الوقت، وسألته بسذاجة:

- كيف دخلت؟

- من الباب، بالطبع، حسب العادة. فعندما لم يفتح لي احد اضطررت للدخول بمفردي. هل تعمدت عدم استقبالي؟

- لا. لم اقصد. لم أسمع رنين جرس الباب!

وخيّل اليها انها طفلة في لحظة محاكمة على ذنب اقترفته. فحاولت ان تخبىء وجهها لئلا يرى اثر الدموع. هرعت الى الداخل، ولجأت الى الخزانة تجلب منها كوب شاي وهي تسأله:

- أتحب ان تشاركني شرب الشاي؟

- بكل سرور.

رافقها حتى المطبخ فهدأ بعض اضطرابها لدى اتخاذه مقعداً، انه لها الآن، تستطيع ان تراه وتبوح له بما يؤلمها بقدر ما تشاء!

وسمعته يقول بلطف غير معهود:

- جئت اشكرك لأنك رتبت البيت ونظفته، لقد أهملته بالفعل وقتاً طويلاً . . .

- كان بامكانك ان تخبرني ان الخادمة مريضة، لكنت خففت قليلا من الفوضى، وتجنبت مشقة العمل المتراكم.

- لم أقصد يوماً ان أطلب منك القيام بهذه الاعمال. في أي حال. . . نحن لم نتزوج بعد.

- هل أفهم من كلامك، انه عليّ فيما بعد، أي بعد زفافنا القيام بأعمال كهذه؟

ابتسم فرايزر بهدوء، وبدا عليه الاهتمام بما يجري بينهما من حديث واخذ يتأملها! بينما هي استعادت قليلا من عافيتها، وبدأت تعود اليها اللذة في العيش. وسمعته يقول وهو يحدق في عينيها:

- لن أتدخل في شؤونك المنزلية. . .

وأضاف بجدية:

- ماذا أخبرتك سارة؟

- حسناً. يبدو انها انتظرت عودتك ولم تترك جوني وحيداً! فعلت كما طلبت منها.

وأضافت ليزا:

- اتركت جوني وحيداً؟

- لا بأس. لن يتعرض لسوء اثناء غيابي عنه جئت لاستفهم منك عما قالته لك سارة. يبدو انك متأثرة جداً لما سمعته منها. . . فآثار الدموع بادية على وجهك.

- ابكي؟ انا؟ هذا ليس صحيحاً!

- وكيف تفسرين احمرار عينيك؟

- أنا لا ابكي ابداً. . . وليس هنالك من احمرار في عينيّ.

وقامت الى المرآة تنظر الى نفسها كأنها تريد ان تثبت عمداً نكرانها لأثر الدموع في عينيها، فعكست لها المرآة وجهها الحزين. . . عادت الى ابريق الشاي، تسكب لنفسها المزيد من شرابها المفضل، فلاحظ فرايزر اضطرابها، وقال معلقاً بلطف:

- آنسة ليزا. . . انت تسكبين لنفسك ماء ساخناً. لقد نسيت ان تضعي اكياس الشاي في الابريق. تفضلي وأجلسي يا آنسة سميث، سأهتم أنا بالباقي.

وتركت نفسها تنهار على مقعدها وهي تخبىء وجهها بيديها بينما قام فرايزر من مكانه، ليحضر الشاي، وخاطبها قائلا:

ـ أحبّ تناول الشاي بعد نقعه فترة قصيرة. سيكون جاهزاً بعد حين. . . احفظي هذا الشيء للأيام الآتية.

ـ لن يكون هنالك من أيام آتية!

ورفعت وجهها تنظر بيأس وهو كعادته يحمل وجهه شيئاً من التعب الممزوج بالفكاهة وحب التنكيد وقال مداعباً:

ـ أرى ان سارة قالت لك ما فيه الكفاية.

ـ نعم!

ـ ستطلعيني على ما قالته. . . أم سترغميني على اللجوء الى العنف!

ارتعدت أمام لهجته القاسية. لم يمسها حتى الآن، ولن تدعه يفعل. . . فهي لا تستطيع ان تتصور لو فعل كيف سيكون رد فعلها. . .

أجابت على الفور:

ـ قالت لي انك تريد الزواج مني من اجل الحصول على املاكي. هل هذا صحيح؟

وأجاب بهدوء وبساطة:

ـ صحيح بعض الشيء. لا انكر ان هذا الاحتمال راودني. هل من فارق؟

ـ بالطبع وبكل تأكيد فانت تستغلني حتى النهاية يا سيد فرايزر ولا تبوح ابداً بحقيقة دوافعك، أنا لا أحب ان يخدعني أحد.

ـ دوافعي كثيرة يا آنسة ليزا. . . وانت لا تعرفين الا القليل منها. . . انتقيت السبب الذي يلائمك وهو ضرورة حضورك الى جانب جوني.

حافظ فرايزر على هدوئه بينما اشتعلت ليزا غضباً كبركان يهيء انفجاراً. . .

فاهتمّ هو بسكب الشاي مع الحليب بدقة ومهارة. اخذت تراقب حركة يديه، وهي تسأل نفسها، هل تستطيع يداه القويتان تطويع قلبها الموحش؟ سألها بأدب:

ـ هل لديك كعكاً؟ عشائي كان لذيذاً للغاية. لكنني ما زلت اشعر بالجوع.

جلبت له بعض الكعك وعادت لتسكب الشاي وتستمع اليه:

ـ اذن، سارة اتت لمضايقتك؟ يبدو ان شيئاً ما أثار سخطها.

ـ خبر زواجنا. . . فهي مرّت بساندي الذي يبدو حانقاً أيضاً.

ـ كانت تساورني الشكوك حول اهتمام ساندي بك. . . وهذه من احدى دوافعي التي اضطرتني لطلب يدك بهذه السرعة.

اضافت ليزا بتأنيب:

ـ ولا تنسى وفاة خالتي ايضاً.

ـ هذا صحيح. اما زلت تعتقدين انني أريد الزواج منك طمعاً في املاكك؟

ـ لا. لم أعتقد هذا ابداً. . . فأنا اعلم ان زواجنا لن يغيّر شيئاً في البنود التي تنصها الوصية. . . وليس بامكانك ارغامي على البناء في الاراضي التي املكها.

ابتسم فرايزر بهدوء وهو يسكب مزيداً من الشاي:

ـ هذا عين الصواب. وهذه هي الحقيقة بكاملها. طالما انك تعرفين هذا الأمر. . . ما هو سبب حزنك وبكاؤك اذن؟

اضطربت ليزا بشدة. في الواقع، سبب حزنها وبكاؤها يكمن في موضع آخر. . . ولم تجد منفذاً للتهرّب من الجواب فقالت بخجل:

ـ لا أحب ان يغشني أحد!

ـ حقاً؟

ـ هذه الناحية تهمني كثيراً!

أجابت ليزا بالحاح، وهي تعلم انها ليست مقتنعة تماماً بأن فرايزر يغشها، فسألها بلهجة مشككة:

ـ اذن؟ ستعدلين عن الزواج لأنني لم ابح لك بحقيقة مشاعري؟

اجابته بصوت مرتجف:

ـ نعم فأنا لم اعد اقوى على الاحتمال.

ـ ستتخلين عن جوني لمجرد اصغائك لأكاذيب امرأة غيورة؟

انتفضت ليزا غاضبة وقالت بانفعال شديد وهي تضع كوب الشاي جانباً:

ـ انت رجل شيطاني يا سيد لامون! حسناً لن اتخلى عن جوني

ارضاء لسارة.

ـ يسعدني كثيراً قرارك هذا. . . انقذتني من وضع حرج كان سيضعني امامه جوني مطالباً بتوضيح ما طرأ على قرارنا بالزواج. اذن بوسعنا ان نكمل ما اتفقنا عليه؟

وتمتمت ليزا وهي تشيح بنظرها عنه:

ـ كما اتفقنا.

وأضاف:

ـ هل تعرفين ان سارة غضبت عندما علمت ان ساندي مغرم بك؟

ـ هو يظن نفسه كذلك!

ـ هذا لا يكفي لاقناع سارة بالعكس، وهذا سبب اضافي لاستعجالي في طلب الزواج منك، معتقداً بهذه الطريقة، فسح المجال امام ساندي وسارة ليلتقيا من جديد. . . لكن سارة تعتقد ان الوقت محى آثار الماضي، والذي مضى قد مضى. . . وهذا ما أثار سخطها.

ـ غريب امرنا! كلانا تصرّف انطلاقاً من الدوافع نفسها. فأنا أيضاً وافقت على الزواج من اجل ان يجتمع شمل ساندي وسارة من جديد.

وتوقفت ليزا فجأة عن الكلام مدركة انها هي أيضاً تملك أسبابها الشخصية، للقبول بالزواج، فعلق فرايزر مبتسماً:

ـ اذن نحن متفقان. . . يجب ان اتركك الآن، سأمرّ بك غداً لنذهب معاً الى مجلس دار البلدية في كيل بريد.

ودار فرايزر حول الطاولة، وانحنى ناحيتها، على غفلة، فارتعدت من الدهشة، وسمعته يتمتم:

ـ أظن انه حان الوقت لنتوج شراكتنا.

استدارت ليزا في مكانها، راجية من السماء، الأ يقدم على الخطوة التي تمنتها في الليلة الماضية لأنه ان فعل سوف يكتشف حقيقة المشاعر التي بداخلها والتي تحاول منذ زمن ان تدفنها عميقاً. فقالت له راجية:

ـ فرايزر ارجوك، لا تدعني اكرهك!

وكأنه لم يسمع رجاؤ ها، فاقترب منها وارغمها على ان ترفع رأسها وتنظر اليه وقال مبتسماً:

ـ أنا مستعدّ لتحمل عواقب فعلي الجريء!

ولم تشعر بالزمن من حولها، وكأن كل شيء استحال زبداً وغيماً أو حلماً في اليقظة، وعندما استفاقت من غيبوبتها، سمعت صوته في المدخل، وهو يقفل الباب من خلفه قائلا بصوت منسجم:

ـ تصبحين على خير يا ليزا، اتمنى لك احلاماً سعيدة، والى اللقاء في الغد.

وبدأ زمن العد العكسي بالنسبة لليزا، فامضت ليلة هانئة، ونامت نوماً عميقاً كما لم تنم منذ زمن طويل.

في اليوم التالي، عندما وصل فرايزر في الصباح، استقبلته بوجه بشوش ورافقته الى مدرسة جوني، ثم توجها الى مجلس البلدية حيث سيتم اعلان خطوبتهما.

مضى كل شيء بسرعة، ولدى خروجهما من مجلس البلدية، التقى فرايزر بأحد الاصدقاء، فدعاه لمرافقتهما في السيارة حتى اردمونت مما زاد في الطين بلة، فلم يتسن لهما الاختلاء للحظة واحدة بعد اتمام معاملات الخطوبة.

واقلعت بهم السيارة، لتقف امام مصنع الاقمشة، حيث ترجلت ليزا.

بدا لها ان هذا النهار لم يكن مختلفاً عن سواه، بالنسبة الى فرايزر فهو مشغول عنها بأمور كثيرة ولا يدرك حتى حقيقة مشاعرها. وها هي تعود الى عملها كسائر أيام الأسبوع. لم يكن الجوّ في المصنع مريحاً نظراً لمزاج ساندي المعكر، فلم يخرج من مكتبه طيلة ساعات العمل بينما حافظت اينا على صمتها خلافاً لعادتها كأنها تلوم ليزا باطنياً لزواجها من فرايزر، ولتسببها بحزن ساندي. هل اقترفت ذنباً لا يغتفر؟ لما هذا الجوّ المشحون من حولها؟ وحده والدها عبّر عن سروره، بينما اينا حمّلتها هموم الدنيا لاقدامها على هذه الخطوة وساندي لم يفرح عندما ازفت اليه الخبر، وسارة تكرهها حتى الموت! الكل يبدو مزعوجاً من هذا الزواج لأنه كان نتيجة مصالح مشتركة بينها وبين فرايزر. . . لو كان العكس هو الذي جرى، أي انها هي وفرايزر عبّرا عن حبهما وتنزها عبر الجزيرة، يداً بيد، لكان الجميع ممتنوناً ومرتاحاً، ولكانت التهاني انهالت عليهما من كل صوب! غريب امر الناس! فهي لا تستطيع الاّ ان تأخذ هذه المواقف بعين الاعتبار. كيف تتجاهلها وكل فرد في اردمونت يشكل لها اسرة صغيرة، وهي بحاجة الى كل واحد منهم؟ بالرغم

من الذي جرى، لا تنكر حزنها العميق على ساندي لانه يعاني من فشله في الحب، وهي تأسف لانتهاء علاقته بسارة على هذا النحو.

وبينما هي تعود ادراجها الى منزلها، فكرت بطريقة تعيد بها الثقة الى ساندي، وقررت من أجل ذلك الاتصال بسارة. تلقت السيدة شيزهولم، والدة سارة، المخابرة الهاتفية ودعتها الى تناول العشاء، فهي بحاجة اليها كي تصمم لها موديلا لثوب تنوي المباشرة في خياطته، فرحت ليزا لهذه المناسبة، وشكرت السيدة شيزهولم، وتوجهت على الفور الى منزل سارة في كريدون هول.

انها المرة الثانية التي تقود فيها سيارتها باتجاه كريدون هول، وتذكرت المرة الاولى، عندما تعطلت فجأة، واضطرت لركوب سيارة فرايزر. كان الطقس حينذاك غائماً وممطراً، ولم يكن بوسعها مراقبة الجبال والهضاب والوديان التي تلفّ كريدون هول. اوقفت سيارتها جانباً وترجلت منها، فالطقس اليوم مشمس والرؤية حسنة، وجلست الى حافة الطريق، تمعن النظر في الألوان الربيعية التي تتهادى عند سفح الجبل. لاح لها في البعيد فلّاح يعمل في الحقل بآلة كهربائية ويقلب الارض كأنه لوحة زيتية يطابق روعة الالوان البهية التي تعكسها البحيرة عند أسفل الجبل. وادركت ليزا حاجتها الماسة الى هدوء الطبيعة وجمالها في نهار مشمس كهذا، وشعرت بلذة المشاركة في عودة الحياة، مع قدوم فصل الربيع. ثم عادت اليها اللحظة التي انحنى فيها فرايزر وعانقها بسرعة، وهو يهم بالخروج من منزلها في ذلك النهار. ولم تأخذ الأمر بجدية، فقد بدا لها انه يقلد ساندي بشيء من السخرية، وخاب ظنها مرّة اخرى، هي التي كانت تحلم بعناق يحمل العطف والحنان والتقدير. اين كل هذه المشاعر من قلب فرايزر؟

واكملت طريقها الى كريدون هول، فمن المستحسن ان لا تستعيد هذه الذكرى، خير لها الآن ان تستسلم للواقع!

استقبلتها السيدة شيزهولم بلطفها المعهود، وطافت بها في ارجاء البيت الريفي، الذي لم يتسنّ لها زيارته في المرة الاولى. وطوال فترة زيارة ليزا لكريدون هول، لم تظهر سارة بل بقيت في غرفتها، لا شك انها ما تزال تضمر لها مشاعر سلبية!

وعندما قررت ليزا العودة، والسيدة ماغي، والدة سارة، ترافقها حتى

الباب، اطلت سارة من الباب الخلفي وهي ترتدي ثوباً رائعاً من القماش الجيّد الصنع، وتحمل بيدها شراب الليمون المعصور. فبادرت بالقول فجأة وبصوت حزين وهي تنظر الى ليزا نظرة عدائية:

ـ ماذا تعملين في منزلي آنسة سميث؟

اسرعت السيدة ماغي شيزهولم بالاجابة محاولة التخفيف من توتر الجوّ الذي احدثته سارة بقدومها وقالت بلطف وهي تعد مشروباً:

ـ جاءت ليزا لتزورنا واغتنمت فرصة غيابك لاصرف معها بعض الوقت. . . يا آنسة ليزا هذا نخب زواجك من السيد فرايزر تفضلي! تقبّلي مني احرّ التهاني!

وشربت السيدة ماغي نخب العروسين واكملت وهي تنظر تارة الى سارة التي جلست بلا مبالاة على المقعد وطوراً الى ليزا التي ما زالت واقفة في حيرة من امرها:

ـ سنتناول الغداء على الشرفة، وعليّ ان اذهب فيما بعد فأنا مرتبطة بموعد مع احد المرضى في المستشفى.

ومضى الوقت اثناء تناول طعام الغداء، والسيدة شيزهولم تطلع ليزا على نشاطاتها في اردمونت، وعلى الاعمال الخيرية التي تقوم فيها باستمرار، الى جانب اهتمامها بمنزلها الريفي. ولم تظهر سارة، عن عداوتها الحقيقية والفعلية لليزا الا عند غياب والدتها، فقالت بشراسة وهي تحدّق في عيني ليزا كنمر برّي:

ـ اذا كان القصد من زيارتك يا آنسة ليزا هو طلبك مني لأعمل عارضة ازياء، للنماذج التي تصممينها، فانت تضيعين وقتك، لا أريد بعد اليوم ان اشترك في عمل، يكون فيه فرايزر وانت، ولا حتى ساندي لويس.

ـ لم آت الى هنا، بهذا الصدد.

وادركت ليزا، ان سارة تتصرف كابنة عشر سنوات مدللة. وحلّ صمت طويل بينهما، قطعته ليزا بهدوء:

ـ اراك تعاملين ساندي بقسوة، وانت تخطئين في تصرفك هذا، فهو لم يقصد يوماً ايذاءك، بالرغم من انفصالكما منذ سنوات. اما فيما يتعلق بي شخصياً، فاحب ان أوضح لك انني لم أسع يوماً الى التقرب منه كي يحبني. وبعكس ما تعتقدين، ساندي ليس مغرماً بي.

- كيف تجرؤ بين على هذا القول؟ فهو لم يكف عن التردد بأنك خيبت آماله بزواجك من فرايزر.

- لا، ليس هذا الذي خيّب آماله. السبب الحقيقي، هو اسفه البالغ لانهيار الصورة التي كونها عن شخصي. فكان باعتقاده انني سأكون الزوجة المثالية التي ستقف الى جانبه وتدفعه الى الامام وتقرر عوضاً عنه في شتى الأمور... وفي الوقت نفسه، انه بحاجة الى شريكة حياة تقليدية تقوم بدور المرأة المربية، التي تسهر على راحته وسلامته. ساندي يعيش في تناقض مستمر. وهذا امر لا شك فيه!

وفجأة تغيرت ملامح سارة من امرأة شرسة مفترسة تواجه عدواً لدوداً الى طفلة ساذجة، فضولية، وكأن ليزا القت عليها موعظة، وهدأت من توترها فقالت سارة باستغراب:

- لقد اصبت الهدف تماماً! هذا التناقض بالذات الذي يعيشه ساندي جذبني نحوه بقوة، لكنني عندما لاحظت عدم اكتراثه بي حقدت عليه وقررت مغازلة فرايزر لاثارة غيرته، هذا لا يعني انني لست معجبة بفرايزر أيضاً... لكن ماذا كانت النتيجة؟ لقد خسرت الاثنين معاً!

- بالطبع! فانت لا تتحملين اهمال رجل لك، أليس كذلك؟

- نعم!

وقفزت سارة من مكانها، وكأنها شعرت بالحياة تجري في عروقها، واخذت تروح وتجيء في الغرفة بعصبية وهي تحدث نفسها بصوت عال:

- اظن انني اتصرّف بحماقة منذ سنوات طويلة. اية حمقاء أنا؟ لماذا لا أتقيّد بنصائح بيار الذي يردد على مسامعي باستمرار انه عليّ ان احسن تصرفي... فهو يعرفني حق المعرفة! وكان دائماً على حق فيما يقوله، نحن نعمل سوياً منذ زمن. ويكفي انه يمضي ساعات في التقاط الصور لي.

واخذت سارة تخبر ليزا، عن علاقتها بالمصوّر وكيف يعاملها ويرعاها ويصون مصالحها ويسهر عليها. وختمت حديثها بضحكة عالية وهي تقول:

- لو عرفت والدتي بشأنه لجن جنونها!

- يبدو ان اهتمام بيار بك لا يضايقك، فانت تفضلين تصرفه هذا على موقف آخر لا مبال.

فأجابت سارة بعد تفكير وهي ترفع حاجبيها موافقة:

- أجل! أفضل تصرفه هذا على تصرف فرايزر اللامبالي واسألك انت، كيف تستطيعين احتمال طبع فرايزر هذا؟

- حان وقت عودتي.

وارادت ليزا ان تختم حوارها مع سارة هنا بدون ان تدخل في التفاصيل، انها لا تريد ان تشرح لها ارتياحها لنوع العلاقة التي تربطها بفرايزر، والتي تفضلها كثيراً على علاقتها بساندي لأنها تشعر بنفسها على قدم المساواة مع فرايزر، بينما مع ساندي، فالوضع يختلف تماماً. فأجابت سارة باندفاع:

- بهذه السرعة؟ أليس الوقت باكراً، نحن بدأنا الآن حقاً في التفاهم وهذه أول مرة اشعر فيها بحضور صديقة الى جانبي، لم يكن لي اصدقاء طيلة عمري، اطلب منك المعذرة يا ليزا ان كلّمتك في السابق بشكل عدائي، فلم اعد اطيق مشاهدة كلّ من فرايزر وساندي، فهما يلاحقانك بدون اية اشارة منك، بينما انا اعمل ما في وسعي للفت انتباههما. اردت الانتقام بشكل حقير ومسكين. هذا لا يمنعني الآن من أن أعرض عليك من جديد موافقتي على العمل معك كعارضة ازياء.

- حسناً! بشرط واحد فقط، ان يكون بيار وايت هو المصوّر لأنه على ما يبدو ينجح في التقاط أفضل ما تعطينه، نتيجة قسوته عليك.

وابتسمت سارة لتعليق ليزا الأخير وأضافت بطراوة:

- انت تصيبين دائماً الهدف بنعومة. حسناً اتفقنا... وشكراً لزيارتك.

وهكذا انتهت على خير زيارتها لسارة، وأرادت الآن ان تعمل ما في وسعها لتحلّ مشكلة ساندي الذي يعاني آلاماً بالغة لفرط حزنه واسفه، وخافت ليزا ان تؤدي به الحالة هذه الى اليأس، فقررت التدخل فوراً وخاصة ان جوّ العمل في المصنع اصبح لا يطاق!

اغتنمت مرّة فرصة تدخّله في عملها بطريقة ازعجتها للغاية، لفرط تمسكه بقانون الآداب، فانفجرت في وجهه قائلة:

- اذا كنت تنوي، مثابرة العمل على هذا النحو... فانا سأستقيل حتماً! اسمعني جيداً يا ساندي انت تخنقني بملاحظاتك الدقيقة وتخنق بالتالي مقدرتي على العطاء، ليس بوسعي ان احتمل المزيد بعد اليوم.

- كيف ستفعلين هذا وتزداد علينا الطلبات يوماً بعد يوم؟

- لن أتوقف عن العمل معك، لكنني أفضل الاّ اكون شريكة لك. . . أريد ان استعيد حريتي في العمل فلو بقيت على هذا النحو سأختنق لا محال. لا يمكنني ان أرسم وأنت تقف دائماً الى جانبي.

نظر اليها ساندي نظرة طويلة كأنه اكتشف امراً للوهلة الاولى وقال بهدوء مفكراً:

- حسناً كما تشائين فأنا مخطىء لاعتقادي انه بوسعي التقرّب منك وأسأل نفسي الآن، كيف سيفعل فرايزر معك؟

- لا تقلق نفسك بشأن فرايزر، فهو خبير بما فيه الكفاية، لكن ليس هذا هو الموضوع الذي أود بحثه معك، فالذي أريد قوله لك لا يتعلق بي وبفرايزر ابداً، انما يتعلق بك شخصياً وارغب في مصارحتك الآن وعلى الفور. لاحظت انك بدلاً من اهتمامك بشخص قريب جداً منك يعمل معك وهو في غاية اللطف والرقة، وأنا متأكدة من اخلاصه واندفاعه، فانت تضيع الوقت سدى، في التحسر على مستقبلك، بينما الشخص الذي أنا في صدد الاشارة اليه، لو أعطيت له الفرصة، لاظهر على مقدرته في مشاطرتك هموم المصنع، وادارته، لكونه يملك الخصائص اللازمة من حسن التدبير الى روح معطاءة حنونة، تصلح لزوجة وشريكة حياة وعمل على السواء. لكن وضعها الحالي لا يسمح لها بالتعبير عن مشاعرها، فهي تعتبرك صعب المنال، كونك رئيسها. أرجوك يا ساندي فكّر قليلا بما اطلعك عليه ولا تهدر هذا الحب بسبب يأسك وفشلك. كما ارجوك أيضاً ان تنظر اليّ بمنظار الواقع، وان تراني على حقيقتي فأنا لست الشخص الذي يناسبك، وآسفة لخيبة الأمل التي سببتها لك، انني مجرد انسان له حسناته وسيئاته، ولست بشخص كامل الاوصاف ولا عبدة رهن الاشارة وتحت الطلب.

وبينما كانت ليزا، تعبر عمّا شغل فكرها وقلبها لمدة طويلة، كان ساندي يمرّ بلحظات صعبة جداً وتتبدل قسمات وجهه، وتعابيره، كأنه تعرّض دفعة واحدة لتيار كهربائي فتح امامه منفذاً جديداً. وقررت ليزا عدم التراجع هذه المرة، بخاصة عندما لاحظت ان سحنة الحزن التي كانت تلازمه باستمرار، بدأت تخف تدريجياً، وأجابها متمتماً بهدوء بالغ:

- لا تأسفي يا ليزا على شيء! فأنا مجرّد انسان أيضاً له لحظات ضعف كما له لحظات قوة، وادرك تماماً نواقصي واخطائي. لكن الذي حصل، هو انني لم أعرف مجابهة عودة سارة الى اردمونت، واخافني هذا الامر كثيراً فلجأت الى اقرب شخص اليّ، وكنت انت البديل. كان عليّ ان أعطي نفسي مهلة قبل الاحتماء بك. . . أما بخصوص اينا، فهل تعتقدين انك على صواب بشأنها؟

فابتسمت ليزا، وقالت وهي تودعه:

- ارجوك يا ساندي لا تكن خجولا الى هذا الحدّ. يمكنك التأكد من اقوالي، والخجل بعد اليوم لن ينفعك بشيء وليس هناك أساليب كثيرة للتحقق من صحة رأيي.

وخرجت ليزا من مصنع ساندي وهي تشعر بسعادة فائقة. لقد اعادت أواصر الصداقة بينها وبين ساندي وسارة، كما اشارت لكل منهما عن الشخص الذي يناسبه كشريك للحياة الزوجية وفي العمل. ولعبت دوراً مهماً في حياة كل منهما، كالساحرة التي تغير المواقف وتقلب الاوضاع رأساً على عقب!

٩ ـ البحر الغادر

اشرف شهر نيسان (ابريل) على الانتهاء كحلم في ليلة صيف. مضى وهو يحمل معه شمسه الناعمة، وأمطاره الندية، كل شيء يتبدل مع شهر ايار (مايو). وتنعم الطبيعة بأشجار مثمرة، وبأزهار ملونة يزيدها زقزقة العصافير جمالاً ورقة.

ومع قدوم شهر ايار (مايو) تكثر الحركة في جزيرة اردمونت. وحدها ليزا، تدرك اليوم، ما اهمية هذه الحركة، فمنذ اعلانها خطوبتها على فرايزر لامون وهي تعد الأيام والساعات، التي تفصلها عن موعد اعلان زفافها.

ومع عودة الحركة الى الجزيرة، عادت السفن الى الأحواض، وعاد هواة الملاحة والابحار الى ممارسة هوايتهم وعاد فرايزر الى انكبابه الدائم على العمل، ليلاً نهاراً، ليلبي حاجات الوافدين اليه. كل هذه البشائر تشير بقدوم فصل الصيف، ومضي فصل الشتاء مع امطاره الغزيرة وعواصفه الشديدة. بالرغم من هذه الحركة ، ليزا ما زالت تشعر بالوحدة نظراً لانشغال فرايزر عنها وهي لا تراه الا قليلاً في المساء وتتولى امر الاعتناء بجوني بينما يمضي فرايزر وقته في الورشة، ويعود في المساء منهك القوى. وتعود في كل ليلة الى منزل خالتها حزينة، تسهر على اتمام ثوب زفافها، الذي صممته بنفسها.

لكن لم هذا السؤال اليوم؟ الم تقبل بهذا الزواج، حتى لو بدا لها فرايزر بعيداً، وغير مهتم. أليس لديها ما يشغلها هي ايضاً؟ خاصة وان الطلبات تزداد عليها، وكلها تتطلب منها جهداً، لكنها بالرغم من ادراكها لهذا الوضع، وتفهمها لمسبباته، كانت تفضل لو تجمعها الظروف بفرايزر ذات

مساء، ويتناولان معاً طعام العشاء فهو لم يوجه اليها مرة واحدة كلمة شكر كما انه لم يحاول حجزها للدردشة، بعد نهار انهك قواهما في العمل. . .

كل شيء جاهز لحفل الزواج. ستقف لها ابنا اشبينة بينما يقف ساندي اشبيناً لفرايزر، ومع هذا يبدو لها الأمر غريباً، كأنها تسير نحو المجهول ولا تعرف حتى من هو هذا الرجل الذي سيكون زوجاً لها، لفرط بعده عنها، فيخيل اليها احياناً انه ربما نسي موعد زفافها. وتحاول ابعاد هذه الصور القاتمة التي تزيدها لوعة وحزناً، وتنصرف الى اهتماماتها اليومية، علها تخفف من وطأة هذا البعد الجاف والحار.

وخرجت تتمشى نحو الحوض عشية زفافها، بينما كان فرايزر يشرف على انزال مركب هاري شيزهولم في الماء. لقد سنحت لها الفرصة في السابق حضور مشهد كهذا، وككل المراكب التي ينجزها فرايزر بدا مركب هاري بهي الطلعة انيق المظهر. ولم تمر الا ثوان قليلة حتى انزلق على السكة المعدة خصيصاً له، وطفا على وجه الماء، راشاً من حوله سيلاً من الزبد. كانت فرحة فرايزر عظيمة، فاستدار اليها قائلاً بزهو:

ـ وأخيراً. . . سيمكننا ان نتزوج! انه المركب الأخير الذي شغلني عنك!

انزعجت ليزا لهذا التعليق الذي احدث بلبلة بين العمال، وابتعدت بهدوء نحو الطريق العام فلحق بها فرايزر، مسرعاً، وصاح مداعباً:

ـ انسيت اننا سنتزوج في وقت قريب؟

ـ لا، لم انس، لكنني اعتقدت انك، ربما. . . انت الذي. . .

قاطعها فرايزر بلهجة هادئة وجدية:

ـ لقد ساورتك بعض الشكوك؟ وانتابك القلق؟

ـ لا! ليس بالفعل! لكنني افكر بجوني، فهو لم يرك منذ اسابيع، لو تمضي هذا المساء برفقته، لاسعده قدومك الى المنزل باكراً.

ـ هذا ما انوي عمله!

ـ في اية ساعة نلتقي غداً؟

ـ في العاشرة، في مركز البلدية، فأنا مرتبط بموعد عند الساعة الحادية عشرة والنصف، علي ان اقود مركباً الى ايرلندا، لو تحضرين برفقة ابنا، وأنا آتي برفقة ساندي.

واقترقا كل في طريقه، كان شيئاً لم يكن، وكادت الدموع تنفر من عينيها لشدة حزنها. لم تشهد يوماً زواجاً موضوعياً كهذا، مجرداً من الأحاسيس.

في اليوم التالي استفاقت على زقزقة العصافير، الطقس جميل، والشمس في قرص السماء تسطع؛ انه موعد اعلان زفافها على فرايزر لامون. قامت من فراشها، وبحركة آلية، ارتدت ثوبها الأزرق الذي اعدته لهذه المناسبة. ووقفت امام المرآة تنظر الى نفسها فبدت لها صورتها انيقة وخاصة جداً. لم يبق لها سوى الطرحة، وقفازها الأبيض الذي ينسجم مع لون حقيبتها اليدوية. وبينما هي تنهي زينتها، انتبهت الى انها تفتقد الى باقة زهر، وأجهشت بالبكاء. كيف ستواجه زواجاً كهذا ولم يفكر بها احد في هذا اليوم بالذات حاملاً باقة زهر؟

وصلت اينا باكراً، ورافقتها حتى مركز البلدية في السيارة، كان فرايزر بانتظارهما، برفقة ساندي. وبدا لها انيقاً في لباسه الرسمي ولفرط دهشتها، ناولها فجأة، باقة صغيرة من زهر البنفسج. فلم تجرؤ على مواجهته واكتفت قائلة بصوت خافت:

ـ من اين اتيت بها؟

ـ من حديقتي، لم يكن لدي الوقت الكافي لابتاع باقة تليق بهذه المناسبة. فحاولت ان اعوض بأية طريقة، فقمت باكراً وقطفتها من تحت السياج. لم يأت موسمها بعد... لذا هي طرية وناعمة.

شكرته بلطف وشكلتها بثوبها... ثم توجه الجميع الى الصالة التي ستجري فيها مراسم الزواج. ولم تمض ساعة حتى كانوا في اردمونت. ترجل ساندي واينا امام المصنع. هي وفرايزر اتجها ناحية الحوض، حيث ينتظر المركب عودة فرايزر. لا شيء يربطها بهذا الرجل الذي الى جانبها الآن، سوى خاتم في اصبعها وباقة بنفسج قدمها اليها منذ لحظات.

ـ انا مرتاح للغاية... سأرحل هذه المرة وبالي مطمئن من ناحية جوني... كان يرغب في تعطيل مدرسته من اجل ان يحضر مراسم الزفاف فرفضت محاولاً اقناعه ان هذا الأمر لا يتعلق الا بك وبي، دون سوانا.

ـ وكيف واجه رفضك؟

ـ باستياء بالغ. فهو يعتقد انك ملكه الخاص. لقد حان الوقت لتوضحي له بعض الأمور، قبل ان يصبح الوضع مزعجاً للغاية!

ـ بالنسبة لمن سيكون الوضع مزعجاً؟

ترجل فرايزر من السيارة، واتجه ناحية المركب، وقال مبتسماً:

ـ لديك متسع من الوقت لتفكري بالنسبة الى من سيكون الوضع مزعجاً. ساعود نهار الخميس، اذا لم تتدهور حالة الطقس، ونحن مدعوون لرحلة بحرية يقيمها هاري على مركبه.

لحقت به حتى المركب، وهو يبتعد عنها، وصاحت بأعلى صوتها:

ـ مدعوون... لماذا؟ اية رحلة؟ ما الذي تقوله؟

ـ هاري شيزهولم يدعونا لرحلة بحرية على مركبه الجديد، يريد عرضه على معارفه وأصدقائه. لا احد سواه يفكر بأمر كهذا... الم اخبرك سابقاً؟

اخذ المركب يبتعد عن المرفأ تدريجياً وصاحت ليزا بأعلى صوتها:

ـ انت لا تخبرني شيئاً على الاطلاق!

ورأته يبتسم قبل ان يتوارى داخل حجرة المركب. عادت ادراجها الى المنزل وأخذت تحضر غرفتها للنوم، ففاجأها جوني بتدخله وقال معترضاً:

ـ لماذا تهيئين غرفة منفصلة؟ والدة صديقي جيم تقاسم والده الغرفة نفسها، وجيم يؤكد لي ان جميع الأمهات يفعلن مثلها.

ـ اعرف هذا يا جوني... لكن كما ترى والدك غائب، وأفضل ان انتظر عودته.

ولم تشأ ليزا الدخول في التفاصيل، فهي تخشى ان ينقل جوني ما يجري في المنزل الى صديقه جيم، وبالتالي ينتشر الخبر في الجزيرة كافة. فاكتفت في الوقت الحاضر، بتجهيز غرفتها، تاركة هذا الموضوع الى الأيام المقبلة.

واستفاقت في الغد، وهي عازمة على جلب سريرها من منزلها، فلم تنم طوال الليل نظراً لرداءة السرير وقررت انها لن تقاسم فرايزر غرفته متى عاد، على عكس ما يعتقد جوني. لم يسمح لها الوقت للتفكير في هذا الوضع غير اللائق، اذ اتتها باكراً السيدة شيزهولم لتستشيرها في موضوع الدعوة التي يعدها زوجها على متن مركبه. وكم كانت دهشة السيدة شيزهولم كبيرة، عندما علمت بغياب فرايزر فقالت مصعوقة:

ـ لم يمض على زواجكما الا ليلة واحدة، وفرايزر سافر وحيداً من اجل العمل؟ لماذا لم تذهبا سوياً لتمضية شهر العسل؟

ولم تجد ليزا جواباً مقنعاً فلقد احرجها السؤال للغاية. وبدأت تنبش

الأعذار محاولة بذلك اقناع زائرتها بضرورة غياب زوجها عنها في اليوم التالي لزفافهما، وأضافت بارتباك ان حاجة جوني الماسة اليها في الوقت الحاضر حالت دون مرافقتها له. فلم تقتنع السيدة شيزهولم بهذه الحجج وأجابت ببساطة:

- فيما يتعلق بجوني، كان بمقدوري الاعتناء به كما يجب، فأنا احب الأولاد، وآسف على تأخر ابنتي سارة في الزواج. انها الآن في لندن وقد سافرت من اجل دعوة المصور الفوتوغرافي بيار لحضور الحفلة التي تقيمها على مركبنا. يبدو انها تميل كثيراً الى هذا المصور... لكنني غير مرتاحة لهذا الشاب، ووالدها يشاطرني الرأي نفسه، ما رأيك انت يا ليزا مع العلم انني اتمنى ان تكون سارة قد لاقت اخيراً سعادتها مع الرجل الذي تريد.

فأجابت ليزا بحذر شديد:

- اعتقد انه هو الرجل الذي يناسبها.

- هي اذن تسير في الطريق الصحيح! هل ترافقينني الى المركب؟ انا بحاجة ماسة الى ارشاداتك وتعليماتك؟

وأضافت السيدة شيزهولم بسرور بالغ:

- ما رأيك بوجبة العشاء التي ساعدها لليلة السبت... فأنا افكر بتحضير سمك سليمان للمناسبة مع شرحات من اللحم البارد، والسلطة والفواكه المتنوعة. زوجي هاري سيحتفل بذكرى مرور اربعين عاماً على ممارسته الملاحة وسيحتفل ايضاً بمناسبة استلامه مركبه وتدشينه... ما رأيك بلائحة الطعام هذه؟

وأمضت ليزا فترة غياب فرايزر عنها، وهي تساعد السيدة شيزهولم في تحضير حفلة العشاء، ولم تشعر بالوقت يمضي لانشغالها في انجاح هذه المناسبة. وحان موعد عودة فرايزر من ايرلندا ومع اقتراب ساعات قدومه شعرت بثقل اللحظات التي تفصلها عنه. الطقس في الخارج ينذر بعاصفة قوية، هذه العاصفة التي تعيده دائماً من اسفاره. اتعبها الانتظار وحوالى الساعة العاشرة لجأت الى فراشها منهكة القوى. لكنها لم تعرف طعم النوم، عيناها مفتوحتان في عتمة الغرفة، تحدقان في الفراغ، وتتمنيان له عودة سالمة. ولم تمض لحظات على وضعها هذا، حتى سمعت قرقعة الباب، وخطوات في المدخل، وأخذت تنصت بانتباه بالغ: انه الآن يخلع

جزمته ويشعل الضوء، ثم يقترب الى غرفتها ويفتح الباب بهدوء. يتنفس في ارجاء الغرفة وهي جامدة في سريرها، لا تقوى على حراك. لكنه لم يلبث ان عاد ادراجه فتنفست الصعداء مدركة انها حبست انفاسها طوال الفترة التي دخل فيها فرايزر الى غرفتها لكنها في الوقت نفسه شعرت بخيبة امل لم تكن تتوقعها. فهي الآن تسمعه يحضر طعام العشاء في المطبخ، وهي جامدة كمن اصيب بنوبة عنيفة.

في اليوم التالي نزلت من غرفتها باكراً، ولم تجده. لقد خرج في الصباح وعاد مع جوني لتناول طعام الفطور. وأخذت تسترق النظر اليه وهو منكب على الطعام. لم يتغير فيه شيء. ما زال قاسي الملامح قليل الكلام حتى انه لم يجاوب على اسئلة جوني حول رحلته الأخيرة. حضوره معهما في المطبخ لم يبدل جو الوحدة التي خيمت على المنزل طوال فترة غيابه. ولم تعرف ليزا سبب تكتمه هذا وبعده. وأسفت لانتظارها اياه بشغف وبشوق. وعند انتهائه من تناول طعام الفطور صعد الى غرفته وبدل ثيابه، بينما خرج جوني الى المدرسة. واغتنمت فرصة غياب جوني وقالت له وهو يستعد للخروج:

- اريد نقل سريري من منزل خالتي الى هنا، هل بمكنك مساعدتي؟

- تدبري هذا الأمر بمفردك... هذا سريرك اليس كذلك؟

- طبعاً... انه سريري... لكن هذا لا يعني انه بمقدوري حمله بنفسي!

لم هذا البرود وهذه النظرات القاسية؟ لم تفهم ليزا معنى تصرفه المفاجىء هذا... وتساءلت اين هو الرجل الذي قدم اليها باقة من البنفسج منذ ايام؟ وسمعته يقول بغضب:

- اذا كنت بحاجة لمساعدة فاطلبي العون من احد عمالي، لكنهم لن يتمكنوا من تلبية طلبك قبل الاسبوع المقبل فلدينا عمل كثير.

وخرج بخطى واسعة محدثاً صوتاً قوياً وهو يغلق الباب خلفه. مكثت ليزا في فراغ المنزل تحاور نفسها وحيرتها امام طبعه الحاد، وتصرفاته الشاذة، التي لم تجد لها تفسيراً بعد. الا يحق لها ان تطلب مساعدته في امر ما؟ ام هي هنا، فقط للاعتناء بجوني؟ وأمضت طوال النهار وهي تعد نفسها بالصبر، وفي المساء لم يتغير شيء، بل حافظ على برودته المعهودة

واكتفى بتناول طعام العشاء ولم يفتح فمه الا ليطلعها على موعد الحفلة التي يقيمها آل شيزهولم على مركبهم، ثم توارى في مكتبه طيلة السهرة، بينما مكثت هي وحيدة تسأل نفسها عن سبب بعده هذا. في اليوم التالي كان البحر هادئاً، فارتاحت لتحسن الطقس واستبشرت خيراً. وتوجهت مع جوني وفرايزر الى المركب، حيث كانت بانتظارهم عائلة شيزهولم. واسعدتها رؤية سارة وماغي وهاري فانضمت اليهم كأنها تحتمي بهم وتجد الأمان الى جانبهم. بينما انشغل فرايزر في امر توصيل المدعوين الى المركب بواسطة زورق صغير. وبعد وقت قليل اجتمع اكثر من اربعين شخصاً على المركب. وسرت ليزا كثيراً لدى مشاهدتها سارة برفقة بيار وشاب آخر عرفت انه احد الأقرباء، وأضافت ببسمة رقيقة:

- ابن عمي جورج اضعه بين يديك للاعتناء به فهو غريب عن اردمونت، ويشعر بالغربة بيننا.

كانت ليزا تراقب بدهشة تحركات الجموع على متن المراكب وسط البحر وقد ادار الجميع المحركات نظراً لهبوب العاصفة. طوال هذه الفترة لم يفارقها ابن عم سارة لحظة، بل كان يقف الى جانبها يشاطرها بهجة الرحلة، وروعة المناظر التي تحيط بهم من كل صوب خاصة وان الشاطىء الصخري يزيد المنظر رهبة وجمالاً.

فتقدم منها جورج ، ابن عم سارة، وهي سارحة في الأفق البعيد، وقال بثقة:

- تعلمت قيادة المراكب على متن مركب شراعي يخص والد سارة. . .

وأكمل جورج حديثه معها، متنقلاً من موضوع الى آخر بدون توقف واستفسر عن مسقط رأسها، والمكان الذي امضت فيه مرحلة المراهقة، وزاده الحديث معها حماساً لدى اكتشافه ان ليزا هي من المنطقة نفسها التي ينتمي اليها. ولم يتركها لحظة، بل كان يرافقها اينما اتجهت على متن المركب. ابدى جوني استياءه من هذا الوضع، بحركات صبيانية، سببت له متاعب من قبل والده الذي لم يفارقه بنظراته العاتبة محاولاً ردعه عن هذه التصرفات غير اللائقة، وكأنه كان يؤنب ليزا ويلقي اللوم عليها لانصرافها عن مراقبة جوني واهتمامها برفقة جورج. ماذا كان يعمل فرايزر لامون وما كان شغله الشاغل في هذه الأثناء؟

لماذا لا يهتم هو بجوني بدلاً من القاء اللوم عليها؟ فبدلاً من ان يتجاذب اطراف الحديث مع المدعوين أو يتبادل النكات مع سارة كان بامكانه مراقبة جوني هو ايضاً، ليتسنى لها ولو لمرة واحدة التفرغ لأحد سواه. وكأن الطقس حاور حزنها وتوازى مع المها، فانقلب فجأة الى غائم وتغيرت السماء من ازرق فاتح الى رمادي وانعكست الوانها على صفحة مياه البحر، فتعكرت وهاجت الأمواج منذرة بعاصفة شديدة. وفجأة تنبهت ليزا لغياب جوني فراحت تبحث عنه حتى وجدته يلعب بحبل علقه في كتفه، وهو يقلد صيادي السمك، ووقف على حافة المركب، في وضع لم تطمئن اليه. فاسرعت ليزا محاولة تحذيره من خطورة وقفته في هذا المكان ، لكن القدر كان اسرع منها، اذ هوى جوني عن سطح المركب! يا لهول الحادثة! هي التي كانت تحاول تفادي امر كهذا، ها هي الآن تواجه ما كانت تخشاه!

ولم تتمالك نفسها، لدى سماعها صوته ينادي:

- بابا! بابا!

قذفته موجة عالية بعيداً، وغاب وجهه عن صفحة الماء. فأسرعت ليزا بخلع حذائها، وارتمت خلفه محاولة انقاذه تتقاذفها الأمواج الهائجة. وما زاد في الأمر صعوبة هو تغير الطقس المفاجىء اذ بدأت تهطل الأمطار بغزارة، فشعرت بالبرد يأكل جسمها وينخر عظامها. وجوني ما زال على بعد ثلاثة امتار منها. وما ان قربت منه بعد عناء شديد وتمسكت به حتى غابت عن الوعي بعدما احست ان شيئاً ما لطم رأسها قاضياً بالتالي على آخر انفاسها.

استفاقت ليزا على مهل وسط مجموعة تحيط بها وأصوات هامسة:

- ها هي تستعيد وعيها!

واحست بألم شديد في رأسها فهي تتنفس بصعوبة بالغة ولم تقو على الكلام. وأخذت تستعيد تدريجياً تفاصيل الحادثة. وبان لها فرايزر بين الوجوه المحدقة بها، والى جانبه وقفت سارة تنظر اليها نظرات قلقة، وقد ابتل شعرها. ولم تر جوني فذعرت وصرخت بصوت متقطع:

- اين جوني؟

اقترب منها فرايزر وقال بحنان:

- اطمئني جوني بخير، السيدة شيزهولم اصطحبته الى منزلها.

- ما الذي هوى على رأسي وأنا في عرض البحر؟
- عوامة القى بها احد المدعوين بصورة مستعجلة، فأصابك، الحمدلله على سلامتك! ستعود السيدة شيزهولم بعد لحظات لاصطحابك الى منزلها. يجب ان تلازمي الفراش، فأنت محمومة!

وأضافت سارة باهتمام:

- سنهتم بك كما يلزم!
- لماذا انت مبللة الرأس؟

سألت ليزا بفضول، وأجابت سارة ببسمة ناعمة:

- لست بأسوأ حال منك... فالطقس الممطر افسد كل شيء... مسكين والدي لم تنجح حفلته. ها هو يعود بعد اصطحابه جوني... هيا! هل يمكنك الوقوف والسير حتى السيارة؟
- افضل ان احملها حتى السيارة.

قال فرايزر متدخلاً وأضاف:

- شكراً لك يا سارة.
- ان تحملها وتنقلها الى السيارة هذا امر طبيعي، فلن تسمح للظروف ان تفقدك زوجتك بعد مضي اسبوع على زواجكما. سأخرج لأعلن للجميع ان كل شيء على ما يرام.
- ايمكنك حملي حقاً؟ انا ثقيلة الوزن.

قالت ليزا بضعف، ولم تفاجئها هذه المرة لهجة فرايزر القاسية، اذ قال بخشونة:

- لا تتعبي نفسك بالكلام وافعلي ما اطلبه منك!

وكادت ان تنفجر بالبكاء لفرط فظاظته فبعد حادثة الغرق التي تعرضت لها ما زال يحافظ على وجهه القاسي والبارد. حملها ومشى بها حتى الباب وأضاف ليزيد من ألمها:

- ارجوك يا ليزا لا تكرري ما حدث اليوم.

فتمتمت:

- خفت على جوني...
- لا تخافي عليه من الآن فصاعداً فهو يجيد السباحة ولم يكن وحيداً، كنا جميعاً على المركب وزوارق الانقاذ متوفرة، كان يجدر بك عدم التسرع

والرمي بنفسك في الماء فالحادثة لم تكن الى هذه الدرجة من الخطورة كي تستوجب اقدامك على عمل كهذا.

ولم تستطع ليزا الاستماع الى المزيد من التهم فأدارت وجهها محاولة ان تخبيء دموعها وتمنت لو كان بامكانها الوقوف والسير حتى السيارة.

واستسلمت لنوم عميق في احدى غرف الضيوف في منزل سارة الريفي، بعد ان عاينها الطبيب وطمأنها ان حالتها الصحية لا تدعو للقلق. بعد ساعات طويلة من النوم استفاقت وسط عتمة شديدة ولم تسمع اي صوت من حولها فارتعدت لشعورها بالوحدة. وأخذت كعادتها تعذب نفسها بطرح الأسئلة: اين هو فرايزر يا ترى؟ لماذا لا يكون الى جانبها؟ هل عاد الى المركب؟ اخذت تبحث عن مصدر الضوء علها تريح نفسها من كابوس التوتر والقلق. وارتاحت قليلاً عندما تمكنت من مشاهدة الغرفة التي اعطيت لها.

وبان لها وجهها الشاحب في المرآة، وشعرها المبعثر، وعيناها التعبتان فأدركت انها في حالة يرثى لها. حاولت الوقوف علها تصلح من هندامها، ففتح الباب في هذه اللحظة ودخل عليها فرايزر بعد ان بدل ملابسه، لا شك انه ذهب الى اردمونت، وقال وهو يقترب نحوها:

- كيف حالك الآن؟
- على احسن حال، لذا قررت مغادرة الفراش.
- لن تغادري فراشك بهذه السرعة. هذه ارشادات الطبيب. هل ترغبين بتناول الطعام؟

لم تجبه بل اكتفت بهز رأسها نفياً، هذا الرجل لا ينفك عن اثارة دهشتها واستغرابها، فهو لا يفكر الا بالأمور المادية. لم يقل كلمة ناعمة تخفف عنها، كل همه هو ان تسير الأمور كما يجب. وأضاف وهو ما زال واقفاً كالجدار:

- اعدت ماغي طعاماً لذيذاً، سأحضره لك!

وعندما هم بالخروج من غرفتها، عادت اليها الهموم والأفكار فأسرعت لتسأله علها ترغمه على البقاء الى جانبها:

- كيف هي حال جوني؟
- انه ينام كالحمل الوديع، كل شيء سار على ما يرام! اطمئني!

وخرج بعصبية، وبقيت في فراشها فريسة الأوهام والشكوك. ما سر هذا الرجل؟ لم هذه العصبية وهذه الانفعالات التي تلسع كالنار؟ لم تره يوماً الا للحظات قصيرة منشرحاً وحنوناً على الرغم من ان شعورها يخبرها بأنه يخبىء دوماً حقيقة عواطفه. وحاولت الجلوس علها تخفف من وطأة حزنها لكنها احست بدوار خفيف وبضعف في كل اطراف جسمها، وعادت الى جلستها السابقة وهي تتمسك بأطراف السرير. دخل فرايزر عليها وهو يحمل اليها طبقاً على صينية.

- لماذا خرجت من سريرك؟

قال بعصبية وهو ينظر اليها محاولاً اخفاء شعور لم تستطع تحديده، اجابت بتردد:

- حاولت الجلوس قليلاً، لتناول الطعام.

- الأفضل لو تبقين في فراشك بدون حراك، سأجهز لك طاولة صغيرة تضعينها في سريرك.

واخذ يعد لها مكاناً مناسباً يمكنها من تناول الطعام في سريرها فصرخت بوجهه:

- انت تعاملني كما لو كنت عاجزة!

- انت اليوم كذلك!

وعندما انهى تجهيزه لفراشها ناولها الصينية فأخذت تأكل بشهية وهو يراقبها بامعان، سألته:

- كم الساعة الآن؟

- الثامنة والنصف مساء...

- هل انتهت الحفلة؟

- نعم. عاد هاري الى اردمونت بعدما رحل الجميع، وطلبت مني ماغي المكوث هنا هذه الليلة لابقى الى جانبك والى جانب جوني.

اسدل ستائر الغرفة وقام الى النافذة ملقياً نظرة الى الخارج ثم اقترب نحوها وأخذ منها الصينية وهو ينظر اليها بتمعن:

- عادت اليك العافية، وفارقتك حالة الذعر!

ثم اقترب من سريرها على مهل وجلس على طرفه، بينما حاولت هي الهرب بنظراتها ناحية الرسوم المعلقة في الغرفة وأخذت تتأملها بامعان،

فعلق فرايزر بسخرية:

- هذه الرسوم تستحق الاهتمام بالفعل. لكنني اجد الوقت غير مناسب لانشغالك بها... هل انت بخير؟

- نعم!

- ليزا لا تكذبي علي، ما الذي... يشغل بالك؟

قاطعته بلطف وبأدب، يتخلله بعض الحزن:

- هل يقتضي عليّ الواجب ان اقاسمك افكاري ومشاعري وبالتالي مشاطرتك غرفة النوم هذا المساء؟

اجابها فرايزر بمرارة:

- ليس عليك مشاطرتي غرفة النوم، ولا أي شيء آخر! كان تصرفك منذ اسبوع خير دليل على انتقالك غرفة مستقلة، واخترت غرفة الضيوف مكاناً لك. لا تقلقي ارجوك، سوف انام في غرفة جوني فهي واسعة بما فيه الكفاية!

لم تنتظر ليزا جواباً كهذا، فهي اكتشفت في الماضي مدى خيبة الأمل التي سببتها له ذاك المساء عندما عاد من سفره في ايرلندا. اذن لم تمر هذه الحادثة بدون ان تترك اثراً بالغاً فيه! والا لما صارحها الآن بصورة غير مباشرة بمقدار الحزن الذي يعيش فيه منذ ان اصبحا زوجين. كانت هذه اللحظة كافية لتضع حداً لشكوكها، فابتسمت بهدوء ونظرت اليه بينما كان يحاول ان يلهي نفسه بالنظر الى الرسوم التي تؤلف بساطاً رائعاً يغطي ارض الغرفة. كان عليها ان تصارحه فقالت بهدوء بالغ وعيناها تشعان فرحاً:

- هذه الرسوم تستحق التوقف عندها، لكنني اعتقد ان الوقت غير ملائم لانشغالك بها...

قاطعها فرايزر بضحكة عريضة، وقال:

- صحيح! افضل النظر اليك...

- لاحظت ذلك!

- هنا، ازيد سبباً آخر لاقدامي على الزواج منك، وهو مقدار الفرح الذي يتركه عندي حضورك دائماً امامي والى جانبي!

- ولماذا انتظرت كل هذا الوقت لتبوح بهذا الأمر؟

- لم اجد هذا السبب كافياً لاقناعك بفكرة الزواج!
- الديك المزيد من الأسباب؟
- نعم! لكن لم يحن الوقت بعد لاطلعك عليها. يجب ان اعيد الصينية الى المطبخ!
- ارجوك ابق معي بعد! اخبرني بكل شيء الآن!

وتمسكت به ليزا محاولة ارغامه على البقاء فأمسك بيدها وضمها الى صدره بانفعال وتمتم قائلاً:
- احتاج الى المزيد من التشجيع فأنت تعرفين مدى تعلقي بكرامتي واحترامي لذاتي.

ولم تخف عن ليزا في هذه اللحظات الأيام الأليمة التي مر بها والتي تركت فيه آثاراً بالغة، فهو على حق عندما يتعلق الأمر بحس الكرامة المرهف الذي يتميز به نتيجة الأحداث العاصفة التي حطمته. وفهمت على الفور انه عليها القيام بالخطوة الأولى. وفي الواقع ليس عليها الا اطلاعه على حقيقة مشاعرها فقالت بحرارة:
- ارجوك ابق الى جانبي. فأنا بأمس الحاجة اليك! اعرف انك لا تميل الى النساء الضعيفات الارادة والشخصية لكنني هذا المساء لا استطيع الاستغناء عنك فحضورك الى جانبي هو اثمن شيء عندي!

عاد فرايزر ادراجه بعدما اتجه الى الباب وجلس قربها:
- ليزا هل انت جادة فيما تقولينه؟ هل فكرت بعواقب ما بحت به الآن؟

ابتسمت ليزا والدموع تكلل عينيها فجذبته نحوها وهي تحاول ضمه الى صدرها ثم قالت له همساً:
- اتحمّل مسؤولية كلامي ولا اخشى العواقب! فأنا احبك!

ولم تقل المزيد بل اكتفت بهذا المقدار علها تشجعه على البوح بدوره بما يشغل باله، فأضافت:
- لم تمس كرامتك بأذى، هل انت مسرور؟

فضحك وأجاب هامساً:
- شكراً لك... لقيامك بالخطوة الأولى.
- ولم هذا الشكر؟
- لولا بوحك بحبك لي لما تجرأت وبحت لك بدوري عن حقيقة

شعوري تجاهك. الحب هو الذي كان السبب الرئيسي لاقدامي على الزواج منك... وقعت في الفخ بالرغم مني!
- هل هذا صحيح؟ ومتى كان ذلك؟
- امن الضروري العودة الى الماضي؟
- نعم! من الضروري جداً، خاصة انك بارع في اعطاء صورة مخالفة عنك. لم اكن اتصور ابداً انك تميل اليّ!
- شعرت بميل نحوك منذ اللحظة الأولى التي شاهدتك فيها في مكتبي. لكنني رفضت مصارحة نفسي ولهذا السبب كنت اتجنبك لئلا يخونني قلبي وأبوح بحبي... في اي حال انت تضاهينني مقدرة على كتمان عواطفك!
- صحيح! اعتقدت انك تميل الى سارة، لكنك تتردد في طلب يدها كونها لا تتفق مع جوني.
- وأنا كنت اخشى وجود ساندي الى جانبك، فعندما شهدت ذاك المساء القبلة التي بادلتك اياها قررت على الفور مفاتحتك بموضوع الزواج مهما كلفني الأمر فوجدت نفسي، استعمل جوني وسيلة لاقناعك... ابوح اليك بهذا الأمر بكل تواضع!

حافظت ليزا على الصمت، لتغرق في دفء كلامه، فكم انتظرت سماع ما يقوله، وكم هو يعرفها حقيقة. وحده استطاع الوصول اليها، ووحده فهم معالم شخصيتها وتعلقها المستميت باستقلاليتها في الحياة المشتركة، ووحده نجح في ترويض قلبها المتعطش دائماً لتحقيق الذات فقالت بصوت كله ثقة:
- ظننت انني كشفت حقيقة امرك عندما قدمت لي باقة البنفسج، لكن عودتك من ايرلندا بدلت ظنوني وأعادت الي الشكوك من جديد، فعدت الى تفكيري السابق وهو انك لا تميل الي، انما اقدمت على هذا الزواج فقط لحاجتك لمن يعتني بجوني.
- كيف لا اميل اليك، وأصبت بخيبة امل كبيرة لدى عودتي من ايرلندا، عندما وجدتك تنامين في غرفة الضيوف؟
- اخترت غرفة الضيوف لأنك لم تهتم لهذا الأمر على الاطلاق! وأحب ان اسرد عليك مسلسل تصرفاتك اللامبالية، فأنت اليوم مثلاً امضيت طوال الوقت بصحبة سارة على المركب، حتى انك كنت تلومني، بمحاولتي

انقاذ جوني!

ـ ها انك تخطئين للمرة الثانية في تقديرك لبعض الأمور، فأنا لم اوجه اليك اللوم لمحاولتك انقاذ جوني، انما لتسرعك في التصرف، فأنت تعرضين نفسك للغرق ونحن نقدم على شهر عسل! وأحب ان الفت انتباهك لتمضيتك معظم الوقت الى جانب جورج ابن عم سارة، فلقد كان مفتوناً بك!

ـ وهل ينتظرني فعلاً شهر عسل؟

عندئذ قام فرايزر وتوجه الى الباب وهو يحمل الصينية وقال بصوت لعوب:

ـ بكل تأكيد! لقد حضرت كل شيء قبل سفري الى ايرلندا. يمكننا المباشرة غداً بشهر عسلنا يا حبيبتي، هذا اذا سمحت لك صحتك بهذا... الم اخبرك انني جهزت زورقاً لهذه المناسبة؟

ـ لا تتفاءل بي فأنا اجهل الملاحة!

ـ سوف تتعلمين بسرعة!

ـ ماذا لو هبت علينا عاصفة ونحن في عرض البحر؟ اخبرتني سارة انك في هذه الظروف لا تطيق صحبة النساء!

ـ يتوقف الأمر على اي نوع من النساء سيكون الى جانبي!